سيرة الأمير السيّد
جمال الدّين عبد الله التّنوخي

[قُدّس سِرُّه]

المجلس المذهبي لطائفة الموحدين الدروز
اللجنة الدينية

سيرة العالم العامل والعابد المجاهد العارف بالله

الأمير السّيد جمال الدّين عبد الله بن سليمان البحتري التّنوخي

[قُدِّس سِرُّه الشّريف]

بموافقة مشيخة العقل

في ٢٤ رجب ١٤٣٧ هـ / ١ أيار ٢٠١٦ م

منشورات
المجلس المذهبي لطائفة المُوَحّدين الدروز
اللّجنة الدينيّة

إشراف: اللجنة الدينية

تنسيق: مصلحة الشؤون التربوية والدينية

إعداد: الشيخ عبد الله التيماني

حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

مقدّمة

بعد الحمد لله، حمدًا يليق بجلاله وعلاه، والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

فما أشبه اليوم بالأمس، يوم تهالكت القيم، ورُفِع القلم، وعاد النّاس بعد النّور إلى الظُّلَم، وقد اختلط الحقّ عند أهل الزّمان بالباطل، وكاد نبراس الفضيلة -لولا رحمة من الله- أن تخمد ناره، فقدّر جلّ شأنه أن تسطع أنواره، فيسّر وجود وليّ علا مقداره، أوضح المحجّة، وأقام على النّاس الحجّة، ورفع للدّين الحنيف مناراً، وكشف عن كلّ محجوب ستاراً، فأزهرت بوجوده بلاد المسلمين، واستنارت بالحقّ دروب الموحّدين. إنّه جمال الدّنيا والدّين، الأمير السّيد عبد الله قدّس سرّه، ابن الأمير علم الدّين سليمان سليل الأمراء البحتريّين التّنوخيّين.

وها نحن في زماننا هذا نشهد تمدّد الظّلام، وتردّي النّفوس بأهواء الأجسام، وفساد الأمر بين الأنام... فما أحوجنا -والحال تلك- إلى أمير جليل أمين، يُحيي فينا نهج السّادة الأكرمين، وسنّة المختار خاتم النّبيّين وإمام المرسلين عليه صلوات ربّ العالمين.

وإنّنا في اللّجنة الدّينيّة في المجلس المذهبيّ لطائفة الموحّدين الدّروز، آلينا على أنفسنا أن نعمل على إحياء تراثنا التّوحيديّ الثّريّ، من خلال استذكار سِير السّلف الصّالح، الّذين أغنوا مجتمعهم المعروفّ بمآثرهم الجليلة، فغدوا منائر هدىً على دروب السّالكين، وأسوة حسنة في مسيرة الرّاغبين. فكان إعداد هذا الكتيّب الموجز عن سيرة سيّدنا الأمير جمال الدّين عبد الله التّنوخيّ قدّس الله سرّه

الشّريف، لنضعها بين أيدي أبناء مجتمعنا التّوحيديّ العزيز، راجين العليّ القدير، أن يمنّ علينا بهدايته ورحمته، وينفّعنا بذلك النّهج السّنيّ وبركته، إنّه الكريم المنّان المتطاول بالمانّة والإحسان.

اللّجنة الدّينيّة

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[العنكبوت:٦٩]

الزمن الذي جاء فيه

بعد انقضاء قرابة خمسة قرون على انطلاقة مذهب التّوحيد، تلك الحركة الإسلاميّة التّوحيديّة النّيّرة، وبعد ابتعاد النّاس -جُلُّهم- عن تعاليم الإسلام السّمحاء، حيث عاد الفساد لينشر غمائمه السّوداء في سماء الأمّة، وبات الموحّد يتوق إلى انتفاضة إصلاحيّة تُعيد أمّة الإسلام إلى التّمسّك بالجوهر الصّافي، وتُبطل ما تفشّى بين النّاس من غلبة أحكام الدّنيا وشؤونها على أحكام الدّين، كما أبطلها مذهب التّوحيد النّورانيّ مع بداية القرن الخامس للهجرة النّبويّة المباركة؛ قدّر الخبير اللّطيف بحكمته ورحمته، ظهور شخصيّة توحيديّة رائدة، تُحقّ -بعونه تعالى- الحقّ وتبطل الباطل... ﴿وَاللّه غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون﴾ [يوسف:٢١]، فكان مجيء وليّ صالح، ومصلح اجتماعيّ رائد، حافظ على أركان الشّريعة و دعائمها مصانةً من أيّ خلل، مستقيمةً بعيدةً عن كلّ اعوجاج، وأحقّ الحقّ، وأبطل الباطل، وأعاد للمسلمين الموحّدين سنّة نبيّهم الكريم، عليه أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم. فعمّت الفرحة القلوب المؤمنة، واستقام -بفضله تعالى- أمر الفرقة الموحّدة.

إنّه التقيّ الفاضل، العالم العامل، حافظ أركان الدّين، ومُحيي سنن النّبيّين، ومَرجع الموحّدين، مفسّر الآيات البيّنات، ومبيّن المحلّلات والمحرّمات، الحامل لواء الإصلاح، والموضح صراط الفلاح، الأمير السّيد جمال الدّين عبد اللّه التّنوخيّ [قُدِّس سِرُّه]، الّذي كرّس حياته المباركة لخدمة الدّين الحنيف، فرفع له منارةً بدّد بها ظلمة الجهل، وأنار قلوبًا طُمس جوهرها بزخارف زمن عمّ فيه الفساد، لِمَا توالى على

الأمّة من حروب وويلات، فانعكست على المجتمع بالفوضى والجهالة، واختلطت مفاهيم الحقّ بالباطل، وقعدت الهمم عن سواء السّبيل لتسلّط الأهواء والرّغبات؛ فغدا مجيئه [قُدِّس سِرُّه]، هديًا للعقول، وبهجةً للنّفوس.

نسبه ومولده

في الثّاني والعشرين من شهر ربيع الأوّل عام ٨٢٠ هجري، الموافق للثّامن من شهر نوّار عام ١٤١٧ ميلادي، وُلد الأمير جمال الدّين عبد الله [قُدِّس سِرُّه] في بلدة عبيه[١]، الّتي كانت تُعدُّ -آنذاك- العاصمة السّياسيّة لزعامة الأمراء البحتريّين التّنوخيّين، وفي بيت من أعرق البيوتات العربيّة نسبًا، فوالده هو الأمير علم الدّين سليمان ابن الأمير بدر الدّين محمّد، ووالدته هي الأميرة ريمة بنت الأمير شهاب الدّين أحمد[٢].

نشأته

رحل الأمير علم الدّين سليمان إلى دار البقاء، تاركاً طفله عبد الله لينشأ يتيمًا فقيرًا في كنف أمّه الفاضلة السّت ريمة، الّتي ربّته تربية صالحة، وكان مليح المنظر، جميل المحضر، شديد الانتباه، ولاحت على وجهه - منذ نعومة أظفاره - أنوار التّقى والنّجابة، وتميّز عن أقرانه فانقطع عن اللّعب في سنّ مبكّرة، وبان ورعه، فجدّ في اجتناب الملاهي الدّنيويّة، وكان يرفض تناول كلّ ما فيه حرام أو شبهة، وينهى عن ذلك كلّه. وترعرع صادقًا أمينًا كريمًا عفيفًا طيّب الخُلق بالغ التّأدب، إذا مرّ غضّ طَرْفَه، وإذا سلّم تأدّب، وإن أكل تمهّل، وإن لبس أسبل. كما كان صحيح العقل، عذب المنطق فصيح اللّسان، طاهر الجَنان، وقور المجلس، ثابت الموقف.

---

١) عبيه: بلدة من قضاء عاليه في محافظة جبل لبنان، ولا تزال فيها آثار التنوخيّين شاهدة على التّاريخ.

٢) كان إطلاق لقب مضاف إلى لفظة (الدّين) على كلّ أمير تنوخيّ عادة سائدة عند الأمراء في حينه.

وقد تميّز [قُدِّس سِرُّه] برغبته الشّديدة في المعرفة علمًا وعملاً، فكان يطوف البلاد لتحصيل العلم، يسأل عن أصحاب الفهم، ويزور الأجواد طلباً للإفادة. قال عنه تلميذه المرحوم الشّيخ أبو علي مرعي حماده: "... وتسامعت البلاد بذكره، وسرعة فطنته، وحسن تخيّله وصحّة تمييزه، وحدّة فكره وقوّة حفظه... ، وأنّ له عناية عظيمة بقراءة الكتب...". وقد أُثر عنه [قُدِّس سِرُّه] أنّه كان يجوب المناطق باحثًا عن أهل العلم والدّين، مقتفيًا أثر السّلف الصّالح، ليأخذ عنهم ويتعلّم منهم.

التزامه الدّينيّ وتحصيله العلميّ

تَوَّجَ الأمير عبد اللّه [قُدِّس سِرُّه] ذلك المنهج الّذي درج عليه بالتحاقه برجال الدّين، فقصد -قُبيل بلوغه سنّ الخامسة عشرة- البساتين[٣] بلدة المرحوم الجليل الشّيخ زهر الدّين أبي ريدان، السّالك مسلك الدّين، المتمسّك بنهج سيّد المرسلين [عليه الصّلاة والسّلام]، والمتحرّر ممّا آلت إليه أمور العباد من الضّياع والفساد، واتّصل به راجيًا أن يكون له شيخًا مرشدًا، وأبلغه رغبته في الالتزام بالمسلك القويم لهذا الدّين الحنيف، راجيًا منه مدّه بالمعارف والعلوم وتسليكه في النّظام المرسوم، وظلّ ذلك الفتى النّجيب يتردّد على الشّيخ إلى أن تحقّق له المطلوب، فانقطع إلى حفظ كتاب اللّه المجيد بجدّ واجتهاد حتّى ارتسم في قلبه حرفًا حرفًا، وكان حفظه مقترنًا بدرسه وفهم تفسيره، وما انقضى شهر حتّى عاد [قُدِّس سِرُّه] إلى الشّيخ أبي ريدان [رحمه اللّه]، وطلب منه أن يختبر حفظه، فذهل الشّيخ لمّا وجده يتلو الكتاب الكريم كاملاً، فما كان من الشيخ إلا أن نزع

٣) قرية قريبة من عبيه في قضاء عاليه- محافظة جبل لبنان كانت تُعرف سابقاً باسم الفساقين.

عمامته عن رأسه ، ووضعها على رأس الأمير الشّاب ، وقد بلغ حينها سنَّ الرشد. وقد اشتهر عنه بعد ذلك أنّه صار – لدّقة حفظه – قادرًا على قراءة القرآن الكريم طردًا وعكسًا، ثمّ راح يسأله في التّفسير فازداد به إعجابًا، وسبّح الله جلّ وعلا، على ما وهبه لهذا الصّبيّ النّابغة، واعترف له بالفضل والسّبق، وناداه بالشّيخة والسّيادة، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:٢٦٩] وهكذا تمّ للأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه] أربع ميّزات في شهر واحد: البلوغ، والالتحاق بسلك رجال الدّين، وحفظ الكتاب المجيد، والسّيادة.

وظهرت عليه صبغة الدّين ، فكان له من الهيبة والوقار ما لايحصل للكبار، وهذا ما ذكره الشيخ أبو علي مرعي، وهو يصف مقابلته للأمير مع ثلاثة من إخوان الدّين[٤] ، وكان عمره قريبًا من سنِّ الأمير؛ فقال: وكان المملوك[٥] دون البلوغ، ووجد من مقابلته هيبة عظيمة وهو يحدّث المملوك باللّين والوعظ والرّفق. فكان الخوف منه إجلالًا وتهيّبا، كما يُخاف من الأسد، وهيبتُه تملأ القلوبَ والأجسادَ، وله ألفاظ عذبة وحركة خفيفة ومعانٍ لطيفة. ثمّ عدنا إلى منازلنا، والقلوبُ تعي ما رأتِ العيونُ، وسمعتِ الآذانُ.ثمّ انصرف [قُدِّس سِرُّه] إلى تحصيل علوم الدّين، وأبحر في عبابه الزّاخر، ونهل من معينه حتّى روي، فجمع تفاسير القرآن الكريم، وعُني بدراسة فقه الشّريعة على المذاهب، ودرس الحديث وعلومه، وقرأ السّيرة النّبويّة المطهّرة، واطّلع على سِيَر الأنبياء [عليهم السّلام]، وعلى مسالك السّلف الصّالح من الصّحابة والتّابعين وأتباعهم. وتزوّد من علوم عصره

٤) الثلاثة هم الشيخ علم الدّين سليمان بن حسين صاحب كتاب درة التاج (المعاصر) والشيخ ناهض الدين (المختارة) والشيخ شرف الدين (بطمه) وكان سن الشيخ أبي علي مرعي وعمره قريبًا من أخويه الناهضي والشريف.

٥) المملوك إشارة الشيخ أبي علي إلى نفسه تواضعا على نهج الأمير السيد (ق)

حتّى أتقنها، فدرس اللّغة العربيّة نحوًا وصرفًا وأدبًا وشعرًا، كما درس علم المنطق والفلسفة والتّاريخ والطّب، وبالغ في جدّه واجتهاده في تحصيل العلم ورغبته فيه، حتّى قيل إنّ المَجلّدات في مكتبته ربت على ثلاثمائة وأربعين مجلّدًا، وأقام على ذلك إلى أن غدا حجّة عصره في شتّى العلوم.

زواجُ الأمير جمال الدّين عبدالله وأولادُه

كان للأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه] في أقربائه بنت حسيبة نسيبة، هي السّتّ عائشة بنت الأمير سيف الدّين أبي بكر ابن الأمير شهاب الدّين أحمد، المعروفة بـ"ستّ العيش"، ذات العقل الرّاجح والخُلق الرّضي، الحافظة لكتاب الله، العازفة عمّا اجتمع لها من عزّ الدّنيا بالمال والجاه، والمقبلة على ما هو أبقى عند الخالق جلّ علاه، رفضت الطّلّاب والخطّاب، إلى أن جهّز لطلبها الأمير الجليل والسّيد الفضيل جمال الدّين عبد الله، فقبلت به رجاء ما تلقاه عنده من حياة فاضلة في الدّنيا العاجلة، وارتقاء في المعراج المفضي إلى سعادة الدّار الآجلة، وتمّ القران المبارك.

رُزِقَ الأمير عبدالله [قُدِّس سِرُّه] أربعة أولاد، وهم عبد الخالق (الأوّل) وفاطمة ومحمّد، وهؤلاء الثّلاثة ماتوا صغارًا، والرّابع عبد الخالق (الثّاني)...

شبّ الأمير سيف الدّين عبد الخالق (الثاني) [رضي الله عنه] على السّجايا الحسنة، والتّربية الصّالحة، فقد اعتنى به أبوه الجليل خير عناية فربّاه على طاعة ربّه، وعلّمه علوم عصره، بأسلوبه المتميّز المرتكز على المنهجيّة العلميّة الرّائدة، قناعة منه [قُدِّس سِرُّه] بأهمّيّة تلك المنهجيّة في اكتساب

العلوم وإدراك مقاصدها، ففاق الأمير سيف الدّين [رضي اللّه عنه] أقرانه، وغدا زَيْن زمانه، وكان قرّة العين لأبويه الفاضلين، ورأى فيه والده ذخرًا في مستقبله لمجتمعه، يكمل ما بدأه هو [قُدِّس سِرُّه] من إصلاح ودعوة إلى سبيل الهدى. ومضى الأمير سيف الدّين برفقة والده الأمير السّيد لمّا رحل إلى الشّام، وكان بعدُ فتيًّا، غير أنّه امتاز على أقرانه بما ظهر عليه من أمارات النّباهة والأدب، وراح السّيد [قُدِّس سِرُّه] يحفّظ ولده القرآن الكريم، حتّى أصبح يتقن قراءته وتجويده، وفقّهه في الدّين فغدا فقيهًا في علوم القرآن والسّيرة والحديث والفقه، كما زوّده بالعلوم والمعارف الّتي كانت سائدة في ذلك العصر، كاللّغة والفلسفة وعلم المنطق وغيرها.

الأمير السّيد المرجع

لمع نجم الأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه]، وذاع صيته علمًا هاديًا، ناهيًا آمرًا، مذكّرًا واعظاً، وما أجمل ما وصفه المؤرّخ ابن سباط بأنّه كان: "شبيه إشراق الشّمس المنيرة عُقيب احتدام الدّيجور"، فأضحى محطّ أنظار الأقربين والأبعدين، ورأى فيه الموحّدون الأخيار، التّوّاقون إلى الخير والصّلاح ربّان الخلاص ممّا هم فيه من شدّة وبلاء، فحمدوا اللّه كثيرًا؛ وازدحم مجلس الأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه] بالمقبلين عليه، فاستقبل الجميع بالتّواضع والسّخاء، وخاطبهم بالحكمة والموعظة الحسنة، يذكّرهم بحقّ اللّه تعالى عليهم في الائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه، وبحقّ نبيّه الأكرم [صلّى اللّه عليه وسلّم] في اتّباع هديه الدّال على صراط اللّه المستقيم.

كثر قاصدو الأمير السّيد عبد اللّه [قُدِّس سِرُّه]

على اختلاف مستوياتهم ومقاصدهم، ولم يقتصر ذلك على أبناء طائفته بل قصده الكثيرون من أبناء الطّوائف والمذاهب الأخرى يحتكمون لحكمته وعدله، فكان يعطي كلاً منهم على قدره وبحسب حاجته وإمكاناته، يخفض جناحه للضّعيف، ولا يتكبّر على كبير ولا صغير، ويرفع قدر طالب العلم، ويحكم بين المتخاصمين بالعدل، ولا يخشى في الحقّ لومة لائم، لا غاية له سوى مرضاة ربّه والدّعوة إلى دربه. وجعل شرع الله جلّ جلاله منهاجه ودأبه، يدعو النّاس إلى سبل الخير والأعمال الصّالحة، وينهاهم عن الدّنيا، ويرغّبهم في الآخرة، ويحذّرهم من الشّهوات والشّبهات، المفضية إلى عقاب ربّ الأرض والسّموات، ومِن تعاطي الخمور وأنواع المُسكرات، وكان يشدّد على تحريم الرّبا وأموال أرباب الظّلم والموبقات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ – ٩١]؛ فاقتدى به كلّ عاقل ديّان، وتقاعس من ضعفت نفسه وأصغى إلى وساوس الشّيطان.

ورتّب السّيد [قُدِّس سِرُّه] نظاماً للسّلك الدّينيّ، أقام فيه حدود الله، فمن جرت منه هفوة يحاسب عليها ويوعَظ، وكل من يقع في خطأ لا يليق بالموحّد الصّادق يُبعَد لوقت معلوم. فصار لذلك أمرٌ عظيم في قلوب الناس، وخوفٌ شديد، وهيبةٌ بالغة، من غير قيدٍ، ولا خوف قتل، ولا ضرب، ولا جراحة، ولاخسارة مال، فصار أشدّ حرمة عند الناس من شرطة الحكام، وسطوات الملوك الدنيوية[٦]. وبهذا النظام لا يستطيع الإنسان أن يجتني ثمرة الكتاب العزيز، وأن يقف على معانيه إلّا بعد أن يطهّر قلبه وجوارحه، فيلتزم بالأوامر، وينتهي عن النواهي؛ وبذلك يقبل عليه قلبًا وقالبًا، ويلتزم به

٦) ابن سباط كتاب صدق الأخبار، ص ٧٣.

علمًا وعملاً لقوله عزّ من قائل: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاّ الْمُطَهَّرون﴾ [الواقعة:٧٩].

رحيله إلى دمشق

لَمّا لمع نجم الأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه] وساد على البلاد، وأضحى للنّاس مرجعًا دينيًّا ومُصلحًا اجتماعيًّا، لم يرُق ذلك للكثيرين المنتفعين من الحال المتردّية الّتي كانت سائدة، بما فيها من فساد العصر وانكفاء النّهي والأمر، فهبّت في وجه السّيّد [قُدِّس سِرُّه] ريح المعاندة والمضاددة، واستُعمِل النّفوذ الجائر للتّضييق على ذلك الوليّ الطّاهر، فآثر الأمير الرّحيل درأً لفتنة كادت تطلّ بقرنها، فمضى راحلاً إلى الشّام الزّاهرة – آنذاكَ – بالعلم، وأقام فيها في الشّاغور الجوّاني، وأخذ معه ولده الأمير سيف الدّين عبد الخالق. قال الشّيخ محمّد الأشرفاني [رحمه اللّه]: "وكان له من المحبّين والمستفيدين والقائمين معه ضدّ المحتجّين عوالم كثير، ورحل معه من رحل، وقصده فيها كثير من المحبّين والمستفيدين والمريدين، وجالس العلماء، وزاره العظماء والكُبَراء... وفي دمشق كانت صلته جيّدة بالفقهاء المسلمين على اختلاف مذاهبهم ، وكانت هذه الصلات قائمة بروحية الآية الكريمة ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون ٥٢]. " وقد قام السّيّد الأمير في مقامه الجديد كما كان في بلده، على الصّراط القويم والسّيرة الحسنة، يأمر النّاس بالمعروف والخيرات وينهاهم عن المنكرات والمحرّمات، ويذكّرهم بما أوجبه اللّه تعالى عليهم من تعاليم دينه الحنيف... ولكنّ الحسد ناشب أظفاره في كلّ مكان متغلغل في النُّفوس الصّغيرة المريضة، فلقد لاحق مسيرة السّيد

[قُدِّس سِرُّه] فحسده الشّيخ أحمد بن أبي فرن وقاومه، وهو من مشايخ منطقة الميدان في دمشق، وتعصّبت معه جماعات من أتباعه، فأظهر السّيد [قُدِّس سِرُّه] أمر ذلك الحاسد وسفّهه بالحجج البالغة والبراهين القاطعة. قال الشّيخ محمّد الأشرفاني [رحمه اللّه]: "وناضلت عنه أهل المراتب والدّيانة، وأصحاب القريض والرّواية، وهجَوا هاجيه بأمتن عبارة، ومنهم الأمير يحيى[٧]، والشّيخ شمس الدّين الصّايغ والشّيخ إبراهيم الصّارم[٨] ، وغيرهم من أصحاب الحميّة، ومدحوه بمدائح حِسان أعلت مقامه وفضله، وخفضت من شأن شانئه، فعلا على أهل زمانه، وقبلوا أمره وعظّموا قدره، وضعف حاسده وبان خذلانه، وظهرت للسّيد الأمير الفضيلة والمزيّة، واشتهر أمره في البلاد المصريّة والشّاميّة". وممّا يجدر ذكره في هذا المقام لقاؤه مع عالم من علماء الشّام وفقهائها وما دار بينهما من سؤال وجواب، قال المؤرّخ ابن سباط:

"حُكي أنّه لـمّا ذهب الأمير جمال الدّين عبد اللّه [قُدِّس سِرُّه] إلى دمشق، دخل يومًا على ابن الكسيح، وهو من علماء الشّام وفقهائها، وقد رحّب به، ثمّ سأله عن بلاده وهل فيها إسلام على التّمام. قال السّيد عبد اللّه: نعم! ويحفظون القرآن. فقال ابن الكسيح: وهل يصلّون؟. قال: ومن يقوم بغير صلاة؟!. قال: وكيف تكون الصلاة؟. فقال السّيّد عبد اللّه: أقوم بالأمر، وأمشي بالسّكينة، وأدخل بالنّيّة، وأمثّل الجنّة عن يميني والنّار عن يساري، وأقول في نفسي إنّ اللّه حاضر أمامي، وإنّي ربّما لا أصلّي صلاة بعدها. قال فالتفت ابن الكسيح إلى أصحابه وقال لهم: صلاتكم جميعها باطلة!". وهناك أيضا استمر في طلب العلم ، والبحث ، والتوسع في

٧) هو الشّاعر الأمير سيف الدّين يحيى، من أبناء عمومة السّتّ ريمة والدة الأمير (قدّس سرّه).
٨) هو الشّيخ إبراهيم الصّارم من أشرفيّة داريّا قرب دمشق.

الاطلاعات، وفي هذا يقول ابن سباط : ثم جمع الشروحاتِ والتفاسيرَ من تفسير القرآن العزيز المكرّم الشريف، وجمعَ كتب اللغة العربية، مثل كتاب الصحاح للجوهري، كذلك سيرَ الملوك، وأخبار الأنبياء، وكتبَ التواريخ، ودواوين الشعرا، والأخبار النبويّة ، والكتبَ الفلسفية ، وكتب علم الفقه على المذاهب، وكتب النحو، وغيرها مثل كتاب إخوان الصفا وغيره من الكتب النافعة[٩].

عودته المظفّرة

لمّا وصل الكتاب الأخير إلى أعيان البلاد، وكانوا مجتمعين في بلدة "عين داره"، قرأوه بما فيه من لهجة حازمة، ووقعت في قلوبهم مواعظه المرغّبة بما عند اللّه، المحذّرة من الابتعاد عن دينه وهُداه، وتحرّكت نفوسهم شوقًا إلى التّحرّر من قيود ظلمة الزّمان، فوقفوا إجلالاً لكاتبه وتقديسًا لسرّه الطّاهر لِمَا وهبه خالقه تعالى من الظّهور على مخالفيه، وتعاهدوا على الطّاعة للسّيد [قُدِّس سِرُّه] فيما يرضي المولى المنّان، وأرسلوا إليه يطالبونه بالعودة إليهم، ويلحّون عليه في ذلك، ويعاهدونه على الالتزام بكلّ ما يرى فيه صلاح أمرهم وخلاص نفوسهم، والتّمسّك بتعاليم الدّين الحنيف.

تلقّى الأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه] طلب إخوانه برهافة حسّه، فتأثّر به وقرّر الاستجابة لرغبتهم، وترك دمشق الّتي ودّعته بالدّموع، وفي أرجائها أصداء نبرات الحزن والأسى المنبعثة من حناجر حشود المودّعين وهم يردّدون: "لا... لا" للتّعبير عن عظيم خسارتهم برحيل تلك الشّخصيّة الّتي غدت لهم على مدى اثني عشر عامًا، مرجعًا دينيًّا تجلّت فيه سمات الورع والعدالة.

---

٩) ابن سباط كتاب صدق الأخبار، ص ٧١.

وعاد الأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه] إلى لبنان مظفّرًا بتأييد ذي الجلال والإكرام، فهبّ أبناء التّوحيد لاستقباله بما يليق بمثله من مظاهر البهجة والتّكريم، حاملين المشاعل بالسّواعد، والتّهليل على الألسن، والسّعادة في القلوب، وكان الاستقبال المهيب في بلدة (عين داره).

وبعدها تفرّغ الأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه] للتفسير لأعمق المعاني في الآيات البيّنات، مبيّنًا للنّاس المحلّلات والمحرّمات، وموضحًا لهم حقائق التّوحيد، راسمًا للسّالكين قِوام المسلك الرّشيد، حتّى أضحى مرجعًا شاملاً، فلا يمرّ في حياة المسلم الموحّد، خاصٌّ ولا عامٌّ، إلاّ وله فيه علم.

تلاميذ السّيد [قُدِّس سِرُّه]

سارعت إلى السّيد عبد الله [قُدِّس سِرُّه]، من مختلف المناطق، نخبة من السّالكين الأبرار الّذين وجدوا في شخصه الكريم ثمرةً لصبرهم، وأملاً بخلاصهم، لما عاينوه فيه من الصّفات النّورانيّة السّامية، والسّمات الإنسانيّة الرّاقية، اللاّئقة بشخصيّته الفريدة، فغدا لهم خير معلّم مفيد، يزوّدهم ممّا أعطاه العزيز المنعم، وكانوا له نعم المريدين الملتزمين، ينهلون العلم والمعرفة من معينه الصّافي، ويشدّون أزره في سعيه لإنارة ذلك الزّمان المظلم. قال الشّيخ أبو علي مرعي: "وازدحم مجلسه بالنّاس وانتمى إليه كثيرون يغترفون من بحره، ويهتدون بهديه، وتشرّفوا بالإضافة إليه، واتّسموا بسمة النّسبة إليه، وتميّزوا بأخلاقهم وأفعالهم، وصاروا يعرفون بسيمائهم، ويقال في وصفهم: إنّهم من جماعة الأمير السّيد".

ومن وفود التّلاميذ الّذين تقاطروا للالتحاق بالسّيد [قُدِّس سِرُّه] المرحومون:

- الشّيخ أبو محمّد علم الدّين سليمان، من عين كسور، وكان أوّل من التحق بالسّيد [قُدِّس سِرُّه] من تلاميذه.
- الشّيخ شرف الدّين علي الحريري، من بطمه.
- الشّيخ الرّئيس النّفيس ناهض الدّين حصن الدّين، من المختارة، كان من أجلّ تلاميذ الأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه].
- الشّيخ أبو علي مرعي حماده، من بعقلين، تتلمذ للأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه] وكتب سيرة حياته.
- الشّيخ الفقيه شهاب الدّين أحمد بن سُباط، من عاليه، وهو والد المؤرّخ حمزه بن سُباط، وكان أقرأ تلاميذ السّيد [قُدِّس سِرُّه] للقرآن الكريم.
- الشّيخ شهاب الدّين أحمد بن نعيم، من عبيه.
- الشّيخان عزّ الدّين وعماد الدّين إسمعيل، من عين داره.
- الشّيخ رشيد علم الدّين سليمان بن أبي ريدان، وولداه الشّيخ شهاب الدّين، والشّيخ شرف الدّين علي، من البساتين.
- الشّيخ شرف الدّين أبي سعيد وولده أبو سعيد حسن، من عين كسور.
- الشّيخان الأميران سيف الدّين أبي بكر، وزين الدّين طاهر، من عبيه.
- الشّيخ زين الدّين جبرائيل بن نصر، من معاصر الشّوف.
- الشّيخ الدّيّن شمس الدّين محمّد بن الصّايغ ، شاعر فذّ له ديوان شعر مخطوط وهو أحد الشّعراء الثّلاثة الّذين انتصروا للسّيد في الشّام، وأخوه الدّيّن الشّيخ صارم

الدّين، وهما من شمليخ[١٠]، انتقلا إلى عبيه وسكنا بُوَرْدين[١١].

وفاة الابن [رضي الله عنه]
وصبر الأب [قُدِّس سِرُّه]

بعد عودة الأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه] من الشّام، أقام مع عقيلته الكريمة وولده قرّة عينه في بلدته عبيه. وكان ولده سيف الدّين عبد الخالق خير معين لأبيه الجليل على حسن التّعليم وإيثار الخيرات وإسداء الحسنات والنّهي عن السّيّئات، والقرب من النّاس ومحبّتهم، والرّفق بهم والشّفقة عليهم، حتّى بات محبوبًا منهم، مطاعًا فيهم، عزيزًا بينهم؛ فقرّت عين السّيّد بولده البارّ، وارتاحت نفسه الشّريفة إلى وجود من يأمل أن يأخذ مكانه، فيطمئنّ قلبه على الرّعيّة بإقامة حقّ اللّه تعالى فيهم. إلاّ أنّ للّه جلّ شأنه مشيئةً نافذةً وقضاءً جاريًا، فقد اختار الابن العفيف الطّاهر إلى جواره. ذلك أنّه لمّا بلغ عامه العشرين، في سنة ستّ وسبعين وثمانمائة، وفي يوم زفاف ابنة عمّته إليه، حدث أن سمع [رضي اللّه عنه] شدّة صهيل الخيل في الإسطبل، فأسرع ليتفقّدها، فرمحته فرس رمحةً أودت بحياته. ثمّ إنّ الأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه] افتقده فنزل يطلبه، فوجده مسجًّى وقد فاضت نفسه الطّاهرة إلى باريها، فصبر واحتسب، وفوّض أمره إلى مالك الملك، فله ما أعطى وله ما أخذ، واستعان بذكر من تطمئنّ بذكره القلوب:

---

١٠) شمليخ قرية كانت بين قريتي شارون والعزّونيّه لم يبق منها سوى البيت المعروف اليوم بـ"مقام الشّريف".

١١) بُوَرْدين هي مزرعة تقع بين البنيه وكفرمتّى.

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ(١٥٦)﴾ [البقرة] . وكتم الخبر بالتّقوى، وأظهر الصّبر على البلوى، وعاد يرحّب بالمدعوّين الفرحين بفرح أميرهم الحبيب، حتّى فرغوا من الطّعام والضّيافة. فوقف [قُدِّس سِرُّه] أمامهم قائلاً: "هاتوا فقيدكم". فنزل الخبر على النّاس نزول الصّاعقة المحرقة، فياله من خطب فادح جلل، انتشر في البلاد طولاً وعرضًا، وانهملت الدّموع وتقاطرت الجموع، واحتشدت تودّع فقيدها الغالي، وترفع آيات التّعزية إلى الأب المفجوع، إلاّ أنّ السّيد [قُدِّس سِرُّه] كان يظهر جلداً لا طاقة به إلاّ لمن امتزجت روحه بالرّضى والتّسليم للواحد الأحد، ووقف في النّاس خطيبًا، وقال:

"سُبْحَانَ اللهِ. والْحَمْدُ للهِ. ولاحَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ. لَهُ الْبَقَاءُ الدَّائِمُ. وهُوَ الْعَلِيُّ الحاكِمُ. ولَهُ الأَمْرُ النَّافِذُ. وهُوَ الوَاهِبُ الآخِذُ. نَحْمَدُهُ على مَا أَوْلَى. ونشكُرُهُ على مَا أَبْلَى. لَقَدْ أَعْطَى وَمَنَعَ. وَتَكَرَّمَ وَأَسْبَغَ. مِنْهُ الامْتِنَانُ. وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ[١٢]. وَإِلَيْهِ الإِيمَانُ. مُطَاعٌ حُكْمُهُ. مُحِيطٌ عِلْمُهُ. ومُمْتَنِعٌ ظُلْمُهُ. هُوَ الحَكِيمُ الجَلِيلُ. وأَنَا العَبْدُ الذَّلِيلُ. الوَاقِفُ بِبَابِ الرَّحْمَةِ. أَطْلُبُ مِنْ كَرَمِهِ النِّعمَةَ".

وبعد دفن الجثمان الطّاهر قام السّيد خطيبًا، فذكر الله كثيرًا، وراح يعظ النّاس ويحثّهم على الصّبر الجميل، ويذكّرهم بقَصص الأوّلين من أنبياء الله الأكرمين عليهم سلام الرّحمن، وأوليائه الصّالحين تغمّدهم الله بالرّحمة والرّضوان، ثمّ عدّد سمات الفقيد الكبير، ووصف حجم الخسارة بفقده، ووعظ النّاس، فأجزل وأوفى، فقال:

١٢) التُّكْلان: اسم في التّوكّل، وهو إظهار العجز والاعتماد على غيرك (لسان العرب).

"أَيُّهَا النَّاسُ ... يَطْوِي الْعُمْرَ الْجَدِيْدَان[١٣]، وَلا فَوْتَ مِنَ الْمَوْتِ لإِنْسَان، وَهَوَى النُّفُوسِ ظُلْمَةٌ، وَفِعْلُ الإِلهِ حِكْمَةٌ، وَنِسْيَانُ الْحَقِّ نِقْمَةٌ، وَمِسَاعِي الثَّوَابِ هِمَّةٌ، وَلَكُمْ عِنْدَ اللّٰه مِنَ الْخَيْرِ مَا تَكْنِزُونَ، وَمِنَ الشَّرِّ مَا تَكْسِبُونَ، وَنَحْنُ وَإِيَّاكُمْ فِي قَبْضَةِ مَالِكٍ، وَهُوَ الْمُنَجِّي بِرَحْمَتِه مِنْ كُلِّ هَالِكٍ؛ قَبُولُ أَوَامِرِ اللّٰهِ طَاعَةٌ وَصَبْرٌ، وَالإِنَابَةُ إِلى رَحْمَتِه عِزٌّ وَنَصْرٌ، فَطُوبَى لِمَنْ قَبِلَ أَوَامِرَ اللّٰهِ طَاعَةً، وَجَعَلَ مُدَّةَ الْحَيَاةِ سَاعَةً، وَرَكِبَ جَوَادَ الْقَنَاعَة، وَعَلَّقَ فِي الْحِكْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ فِكْرَةً لَمَّاعَةً، وَقَيَّدَ النَّفْسَ بِقَيْدِ الْوَرَاعَة، وَرَفَعَ أَنْوَارَ الْعَقْلِ فِي دَوَامِ إِخْلاصِ الضَّرَاعَة[١٤]، وَجَعَلَ فِي حَقِّ الْمَوْتِ أَمَانَةَ الرِّضَى بِتَسْلِيمِ الْوَدَاعَة؛ أَيَجُوزُ أَنْ يَعْتَرِضَ الْعَبْدُ عَلَى رَبِّه فِيمَا أَبْدَعَ؟! أَوْ يَحْجُزَ عَلَيْه[١٥] وَيَغْضَبَ فِي قَبْضِ مَا أَوْدَعَ، أَوْ يَعْصِيَ قَوْلَ اللّٰه فِيمَا أَنْبَأَ بِه وَهُوَ يَسْمَعُ؟! أَوَيَظُنَّ أَنَّ حُكْمَ اللّٰهِ وَقَدَرَهُ لَهُ قَاهِرٌ وَمَدْفَعٌ[١٦]؟! فَجَهِلَ مَنْ غَفَلَ عَنْ آيَاتِ اللّٰهِ الثَّابِتَةِ، وَقَصَرَ فِي الطَّاعَةِ طَرْفُهُ مِنَ الأَزْمَانِ الْفَانِيَةِ؛ فَلا بُدّ مِن قِيَامَةٍ يَعْظُمُ حِسَابُهَا، وَيَخْرَسُ جَوَابُهَا، وَيُؤَبَّدُ عَذَابُهَا، وَيَمْتَنِعُ بَعْدَ فَوَاتِ الأَوَانِ طِلابُهَا. أَيُّهَا النَّاظِرُونَ إِلَيَّ، أَتَظُنُّونَ أَنَّ صَبْرِي عَلَى فَقْدِ وَلَدِي الصَّالِحِ جَهَالَةٌ، أَوْ تَرْكَ اعْتِرَاضِي فِيْهِ عَلَى الْقَضَاءِ ضَلالَةٌ، أَوْ أَنِّي نَسِيتُ مِنْهُ عِلْمَهُ وَعَزْمَهُ وَإِفْضَالَهُ، وَرِفْقَهُ وَصَبْرَهُ وَاحْتِمَالَهُ، وَيَقْظَتَهُ وَهِمَّتَهُ وَرُقِيَّهُ وَإِجْلالَهُ، وَصِحَّةَ دِيْنِه وَحُسْنَ يَقِيْنِه وَدَوَامَ تَضَرُّعِه إِلَى رَبِّه فِي الْخَلاصِ بِسَلامَةِ مَسَاعِيْه وَسُؤَالِه؛ لا... بَلْ كَانَ وَلَدًا صَالِحًا هِبَةَ الدَّيَّانِ، رَائِقًا حَاذِقًا فَرِيْدًا فِي طَبَقَةِ عِنْوَةِ الزَّمَانِ،

١٣) الجديدان: اللّيل والنّهار.
١٤) الضّراعة: الخضوع والتّذلّل.
١٥) يحجز عليه: يمنعه.
١٦) مدفع: دافع، ردّ.

أَنِيسَ الْوَحْدَة، وَمُنْيَةَ غِبْطَة رِضْوَانِ الْمُدَّة؛ تَصَدَّقَ عَلَيَّ وَأَنْعَمَ بِهِ مُنْعِمٌ مِنْ فَضْلِهِ، وَقَبَضَهُ بِحُكْمِ عَدْلِهِ، وَسِرِّ حِكْمَتِهِ وَفِعْلِهِ، وَالصَّبْرُ الْعَظِيْمُ مَطِيَّةُ مَنِ اتَّقَى، والرِّضَى وَالتَّسْلِيْمُ مَنَارَةُ مَنِ ارْتَقَى، والحِكْمَةُ مَالِكُهُ، وَالْعَمَلُ سَالِكُهُ، وَالْفَوْزُ فِي الآخِرَةِ لِمَنْ فَازَ، وَرَاحَةُ الْبَلا[١٧] صِحَّةُ الامْتِيَازِ، وَالْعِبَادُ بِأَعْمَالِهَا، وَالآخِرَةُ بِمَنَالِهَا، بُرْهَانُ آيَاتِ اللّٰه حُجَّةٌ، وَسُلُوْكُ سَبِيْلِ الحَقِّ مَحَجَّةٌ.

أَيُّهَا النَّاس، خَلَقَكُمْ وَأَوْسَعَكُمْ نِعْمَةَ بَحْرِ عَطَايَاهُ، وَفَرَضَ عَلَيْكُمُ الحَقَّ وَقَبِلَهُ مِنْكُمْ وَارْتَضَاهُ، وَنَهَاكُمْ عَنِ الْبَاطِلِ وَحَذَّرَكُمْ مِنْ سَخَطِهِ فَوَيْلٌ لِمَنْ عَصَاهُ، وعَقَلَكم مِنْ أَسْمَائِهِ بِأَسْبَابِ سِرِّ مَعْرِفَةِ مَعْنَاهُ، فَأَنْتُمْ تُحْصَرُونَ وَلا تُحْصِرُونَ، وَتُقْتَدَرُونَ وَلا تَقْتَدِرُونَ، بَلْ أَنْتُمْ كَسَمَكَةٍ خَلَقَهَا اللّٰه بِإِرَادَتِه وَأَعْطَاهَا سَبْعَةَ بِحَارٍ، فَهِيَ تَغُوصُ وَتَعُومُ وَتُرْزَقُ وَلا يَحُوطُ لَهَا قَرَارٌ، خَلَقَكُمْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ وَغَمَرَكُمْ بِالرَّحْمَةِ، وَنَقَلَكُمْ مِنْ ضِيْقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَةِ الْفَضَا وَفَسِيْحِ النِّعْمَةِ؛ أَمَا تَرْضَوْنَ بِالشَّفُوقِ الرَّفُوقِ الْمُلِيْءِ بِالشَّفَقَةِ وَالرَّأْفَةِ، الْقَادِرِ الْقَاهِرِ الْمُعْطِي الْمَانِعِ الحَاكِمِ بِالْعَدْلِ وَالنَّصَفَةِ؟! أَتَظُنُّونَ أَنَّكُمْ إِذَا اعْتَرَضْتُمْ عَلَيْهِ فِي حُكْمِهِ تَبْلُغُونَ مُرَادَكُمْ؟! وَتَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ إِذَا أَهْمَلْتُمْ طَاعَةَ مَوْلاكُمْ وَرَكِبْتُمْ هَوَاكُمْ تَخْلُصُونَ مِنْ بَلاكُمْ! فَأَنْتُمْ كَطَيْرٍ مَسْجُونٍ فِي قَفَصِ الإِرَادَةِ، مُتَحَرِّكٍ فِي طَلَبِ هَوَاهُ فَلا يَجِدُ مَطَارًا وَلا فِرَارًا وَلا زِيَادَةً.

أَيُّهَا النَّاسُ، بَلَغَ الْعَصْرُ آخِرَهُ، وَحَكَمَ فِيْهِ خَالِقُهُ وَقَادِرُهُ، وَعَمَّا قَلِيْلٍ يَظْهَرُ الْجَزَاءُ وَيَعْرِفُ الْعَامِلُ عَمَلَهُ، وَلا يَضِيْعُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ بَيْنَ يَدَيْ نَاهِيْهِ وَآمِرِهِ، فَيَا فَوْزَ الْمُتَّقِيْنَ، وَيَا سَعْدَ الْمُحْسِنِيْنَ".[١٨]

---

١٧) البلا: البلاء وهو الاختبار بالخير أو بالشّرّ.

١٨) نصّ الخطبة نقلا عن كتاب "مكاتبات السّيد الأمير (ق) " صفحة ٩٩.

من لنا بمثل هذا الصّبر الّذي تعجز عن حَمله جبابرة الرّجال، وتنوء تحت حِمله العظماء والأقيال، إلّا من سلك مسالك الأولياء، واقتفى أثر السّادة الأنبياء.

العالم المعلّم

لقد اهتمّ الأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه] بتحصيل العلم أيّما اهتمام استجابة للأمر الإلهيّ في القرآن الكريم: ﴿وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه١١٤]، فاجتهد [قُدِّس سِرُّه] فيه حتّى وهَبَهُ اللّهُ منه فيضًا كثيرًا، ورغب باقتناء الكتب ومطالعتها، ومما يدل على طلبه للعلم أنّه جهّز إلى مصر رجلا[١٩] لابتياع معجمي "المحكم" لابن سيده (٤٥٨ هـ)، و "القاموس المحيط" للفيروز آبادي (٨١٧ هـ) وغيرهما من الكتب التي يحتاج إليها. وقال ممن يوثق بكلامه: إنّه شاهد خزانة الأمير عبد اللّه وفيها "ثلاثمائة وأربعون مجلدا ، ثم جدّد غير ذلك"[٢٠]. وقد أوقف قُدِّسَ سرُّه ما يقارب أربعين كتاباً بخطه؛ لتكون نواة مكتبة يستفيد منها جميع من له قدرة على الاطلاع عليها، وهي تعد من كتب النسخ النادرة والمهمة. ووزّع بعضها على تلاميذه، حسب ما رآه يناسب كلّ واحد منهم، وأمر ببيع الكتب الباقية ليوزّع ثمنها على الفقراء والمحتاجين.

وكان يحثّ على الاجتهاد والتعلّم والبحث بمنهجيّة واعية فـ"طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلم" كما ورد في الحديث الشّريف، والعلم الّذي طلبه فريضة هو العلم الدّينيّ الّذي يصحّح عقيدة المرء التّوحيديّة ويرسّخها في ذاته، كما يصلح شأن الموحّد في صفاته ومعاملاته اللاّزمة والمتعدّية،

---

١٩) هو الشيخ أبو علي مرعي، تلميذ السيد، ومؤلف سيرته (حديث الشيخ سعيد حماده، في ١٤/ ٧/ ١٩٨٦).

٢٠) ابن سباط، حمزة: تاريخ الدروز: ص ٨١.

أضف إلى ذلك كلّ العلوم التي تخدم تلك الغاية الجليلة كعلوم اللّغة وغيرها، وطبّق ذلك بتعليم ولده.

وكان قد سادت في زمانه معتقدات فاسدة وعادات خارجة عن نظام الدّين الحنيف، فانبرى الأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه] ينشر العلم والمعرفة، فيوضح المبهم ويفسّر المشكل ويحقّ الحقّ ويبطل الباطل، حتّى أزهر الزّمان المقفر بعلمه وأنارت السّبل المظلمة بهديه، حيث أعاد منار الدّين، وأحيا سنّة سيّد المرسلين [صلّى اللّه عليه وسلّم]. وبنى مسجدًا في عبيه وحثّ على بناء المساجد في القرى والمناطق، وأصلح شؤون المجتمع على قاعدة التّعاليم السمحاء، ومنها:

- يقول المؤرّخ ابن سباط: "وكان لا يمكّن من هو تحت أمره في لباس القماش المفرط الثمن مثل الحرير وأشباهه، والمُحَلاّ المنسوج، ولو كان من ذوي الإيسار؛ وإنّما يلبس ما يليق ويتصدّق على فقراء المسلمين. ولم يركب الأمير السّيد قطّ في سروج محلاّة".
- نهى [قُدِّس سِرُّه] عن التّنافس في الأنساب، وحدّ من التّمايز الطّبقيّ بين النّاس، وجعل الميزة بينهم في حفظ كتاب اللّه والائتمار بأوامر نبيّه [صلّى اللّه عليه وسلّم] والانتهاء عن نواهيه، كما قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات ١٣].
- عمل على إعادة تنظيم الأسرة الموحّدة، حيث:

أ) رسّخ مفهوم العدالة في معاملة المرأة، وأمر بإنصافها في كلّ الحقوق التي منحها إيّاها خالقها العظيم.

ب) نصح بتحديد عدد الأولاد بما يتناسب مع الوضع الاقتصاديّ للأسرة، ليتمكّن الأهل من القيام بواجب التّربية القويمة.

ج) أمر بتربية الأولاد على الصّلاح وعلى تقوى الله تعالى، والتّأدّب بالآداب الدّينيّة، وحثّ على تعليمهم ما يصلح أمر دنياهم لتكون أيديهم ممدودة في مجتمعهم للعطاء لا للأخذ.

- نهى عن العادات المخالفة لنظام الحقّ في المناسبات:

أ) منع النّدب والنّواح والعويل على الميت، كما نهى عن المبالغة في التّعبير عن الحزن، وأمر بالتزام فضيلة الرّضى والتّسليم لمشيئة الله الذّي له ما يعطي ، وله ما يأخذ .

ب) نهى عن المبالغة في المظاهر البرّاقة المنافية للسّمت القويم في الأفراح والأعراس، وأمر بالتزام كلّ ما ينمّ عن فضيلة العفاف والأدب.

- فصّل في تبيان الحلال والحرام والشّبهة. ورسم الطّريق الواضح في التّعامل بالمال، نقديًّا كان أم عينيًّا، فشدّد على تحريم مال الظَّلَمَة والرّبا، وعلى تحريم الخمر وغير ذلك من المحرّمات ...
- حثّ على تهذيب الجوارح واستعمالها فيما خلقت له، وصونها عن كلّ معصية؛ لأنّها نعمة من الخالق العظيم، وشرّ المعاصي استعمال النّعمة في معصية المنعِم.
- فصّل في أصول معاملة الموحّد مع نفسه ومع ربّه ومع النّاس. وعمل على رفع الفرد إلى الرتبة الإنسانية التي كرّمها الله تعالى بالعقل، والنطق، والنفس الخالدة النورانية، والهداية الأزلية الربّانيّة.

أقواله المأثورة

- المعرفة أساس الخير جميعه.
- نظر العاقل بفكره وخاطره. ونظر الجاهل بسمعه وناظره.
- الرّضى بحكم الله وقدره فرض لازم، عُلم السّبب أم لم يُعلَم.
- من صبر على محن الزّمان، أدرك نعيم الجنان.
- من لم يترك في الدّنيا ما يحبّ، لم يبلغ في الآخرة إلى أرب. ومن لم يصبر على ما يكره، لم يشاهد ما يرضيه في المنقلب.
- من آثر في الدّنيا طلب الجاه، لم يبلغ في الآخرة ما يتمنّاه.
- من جعل نفسه عُرضةً لشهوات الدّنيا، لم يحصل على لذّة الآخرة.
- إيّاك أن تقول إنّ الله غفور رحيم يغفر ذنوب العصاة، فتضيّع العمل وتتوكّل على الرّحمة.
- لا تطمع في أن تحصد ما لم تزرع.
- من لم يكن صادقًا بلسانه فهو بالقلب أكذب.
- فضائل الله على العبد لا تُعدّ ولا تحصى.

باقة من مآثر الأمير [قُدِّس سِرُّه]

كان سيّدنا الأمير [قُدِّس سِرُّه] عارفًا بربه، عالمًا بأحكام دينه، متمسّكًا بالعدل، لا تأخذه فيه عاطفة ولا مداراة، ولا يخشى فيه لومة لائم، فاتّخذه النّاس بينهم قاضيًا، وللضّعيف ناصرًا. "تأتيه الخصوم من أقصى المعاملة، من جيرة صفد،

إلى أطراف حلب، إلى حدود طرابلس، إلى شوف بعلبك، مع أطراف دمشق ... وفي ما بلغ إليه أنّه كان أهل الذّمة من اليهود والنصارى، يأتون على خبره، ويحضرون بين يديه في اختلاف بينهم في أمر الدنيا فيسمعون له، ويمتثلون ما يشير به ، فيرجعون راضين بأوامره[٢١]. قال بعض الحكماء: "من حكم بالحقّ حجّت النّاس إليه". وهذه طائفة من أخباره [قُدِّس سِرُّه]:

صاحب الكرم المعتدي:

كان لأحد المشّايخ كرم عنب مجاور لكرم رجل سيّء السّيرة، رديء الخصال. وكان ذلك الشّيخ من تلاميذ السّيد [قُدِّس سِرُّه]، وهو زعيم في قومه، وذو مال وجاه.

ذات يوم أرسل الشّيخ عمّاله إلى كرمه، لتقليم دواليه، فكان منهم أن رموا ما قطّعوا من الأغصان في كرم ذلك الرّجل المجاور. ولمّا أتى الرّجل إلى كرمه، رأى الدّوالي المقطّعة فيه، فأعادها إلى كرم الشّيخ. وما إن علم الشّيخ بذلك حتّى عظم عليه الأمر، واعتبر فعل الرّجل جرأة عليه ومسًّا بكرامته، فشكاه إلى حاكم تلك الجهة، الذّي قبض على الرّجل وضربه وغرّمه بخمسمائة درهم.

راح الرّجل يتحدّث بما جرى له، ويطعن على الّذين ظلموه، ويغلّظ عليهم في القول، ممّا زاد غضب الشّيخ عليه، فأقسم أنّه لا يسكن مع ذلك الرّجل في البلد نفسه ، فاضطر الرّجل إلى الرّحيل عن بلده، وأخذ يقصّ قصّته على أهالي القرية الّتي رحل إليها، فقيل له: "ألا تشكوه إلى شيخه

٢١) ابن سباط، كتاب صدق الأخبار، ص ٧٣.

الأمير جمال الدّين عبد اللّه، فإنّه ناصر الحقّ". فقال: "هيهات أن يسمع لي كلمة واحدة في حقّه، ومن أنا عنده، حتّى يأخذ بيدي على مثل هذا الشّيخ الّذي هو من أعزّ النّاس عنده، وأجلّهم قدرًا وأعلاهم محلاًّ؟!" فقيل له: "أيّها الجاهل، الأمير ليس عنده عزيز على الحقّ، ولو كان الحقّ على نفسه أو ولده لكشفه وحكم به".

وجاء الرّجل إلى الأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه] وشكا حاله إليه. فأرسل الأمير في طلب الشّيخ، فلمّا مثل بين يديه قال له الأمير [قُدِّس سِرُّه]: "هذا الرّجل يقول إنّك فعلتَ به كذا وكذا (وسرد عليه شكوى الرّجل) فماذا تقول؟". فأقرّ الشّيخ بصدق الخبر، ثمّ قال: "هذا الرّجل ساقط، خبيث السّيرة، كاذب، سعيت به إلى من أدّبه، فزاد في عتوّه وسفاهته، فطردته وأقسمت ألاّ أساكنه في البلد". قال الأمير: "أريد أن تحدّثني بأوّل الأمر، أكانت الدّوالي موضوعة في أرضه أم لا؟" قال: "نعم". فقال: "وإذا نقلها من أرضه فماذا يكون؟" قال: "قد تعدّى طوره وفعل ذلك بيده". فقال: "أمّا قولك إنّه رجل ساقط خبيث، فإنّ له مجازيًا لا يحيف ولا يجور. ثمّ إنّك سعيت به إلى من لا يعرف طريق العدالة، فأهانه وأخذ من ماله ما يقوت عياله به، ثمّ طردته من وطنه قهرًا، فهذا فعل الجبابرة، وهذا الرّجل لو كان له ظفر يحكّ جلده، لما تجرّأت على ذلك، فأين شروط الدّيانة، وأين حفظ الأمانة. اعلم أيّها الرّجل أنّك إن كنت لا تزال راكنًا إلينا، مقيمًا معنا، سامعًا كلامنا، قائلاً بقولنا، فإنّي قد حكمت عليك بأن تسدّ له الخمسمائة درهم الّتي أُخِذت منه بسببك، وهو يرجع إلى بلده ويسكن فيها غصبًا عنك. وأمّا يمينك ألاّ تساكنه فقد افتريت به على نفسك، فإن أحببت أن تحنث وتساكنه،

أو ترحل إلى حيث شئت، وإن أحببت مفارقتنا أو اخترت مرافقة غيرنا فلا تفعل بما رسمناه عليك".

فالتزم ذلك الشّيخ، أن يعطي الرّجل خمسمائة درهم من ماله، وطلب منه المسامحة، ولكي يبرّ بيمينه، رحل إلى قرية مجاورة وبنى له فيها مسكنًا، وأقام فيها بقيّة عمره.

قاطع الطريق:

تصدّى قاطع طريق مرة للأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه]، وسلبه ما معه دون أن يعرفه. فلما عرف اللّصّ أنّ من تعرّض له هو الأمير، أعاد إليه كلّ ما سلبه منه، وبهذا عرفه الأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه]. وحدث أن تشاجر قاطع الطّريق مع ابن عمّه، وأراد عرض الأمر على الأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه]، إلّا أنّه خاف؛ بسبب ما سبق منه مع الأمير السّيد، ولكون ابن عمّه هو من أعزّ أهل بلده عند الأمير. فقيل له: "لا تخف، فإنّ الأمير لا يماري ولا يعير أذنه إلاّ للحقّ". فذهب إليه وشكا أمره، وأحضر الأمير الطّرفيْن وسمع كلامهما، فظهر له أنّ الحقّ لقاطع الطّريق. فقال لابن عمّه، كيف ترضى لنفسك أن تضاهي مثل هذا، وتقف معه وآخر الأمر يظهر الحقّ له؟ أوصل إليه حقّه، وإلاّ فلا تدخل علينا بعد ذلك". فرضخ الرّجل لحكم الأمير [قُدِّس سِرُّه]، وأعاد إلى قاطع الطّريق حقّه، وخرج الأخير يثني على الأمير ويشكر فضله ويقول: "دخلت على نائب الشّام[٢٢] وحضرت قدّام الولاة، فما وجدت مكانًا أهيب من مكانه، ولا حرمة أبسط من حرمته، فسبحان من ألبسه الوقار".

---

٢٢) والي الشّام من قبل دولة المماليك.

الرّجل الّذي طلّق زوجته ليتزوّج أخرى:

كان رجل من ذوي اليسار والثّروة والسّطوة، يقدّم للأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه] كلّ عام هديّة، فيقبلها الأمير منه. وحدث أن خطب هذا الرجل فتاة من إحدى القرى، فوافقت. فطلّق الرّجل زوجته، أمّ أولاده ليتزوّج من الفتاة. إلاّ أنّ هذه الفتاة رجعت عن وعدها وامتنعت عن الزّواج منه، فحدث خلاف في البلد. ولمّا كان الرّجل من أصحاب السّطوة، تزوّج الفتاة دون رضاها ورضا من يلوذ بها، وبعد هذه الحادثة ذهب الرّجل جريًا على عادته إلى الأمير السّيّد ومعه هديّة. فقال له [قُدِّس سِرُّه]: "أيّها الرّجل الباغي الظّالم نفسه، من كان مثلك لا أقبله ولا أقبل هديّته ؛ لأنّك مخالف، فلا تجئ إليّ ، ولا تدخل عليّ"، ثمّ وبّخه توبيخًا عنيفًا وقال: "تأخذ النّساء كرهًا بأعوان الظّلم وبذل الأموال لهم. أما حضرتَ وشاهدت كتاب عقد الزّواج عند قوله: (وولّى تزويجها بإذنها ورضاها)، فتأخذ قهرًا ثمّ تأتي إليّ، وأخبارك بشؤم أفعالك ترد عليّ، أتظنّ أنّي ما سمعتُ خبرك؟ فاخرج من عندي مطرودًا، ومن عند جميع من يقول بقولي طريدًا منفيًّا، لا نقبل منك هديّة ولا نلتمس منك عطيّة". وأمر بردّ هديّته إليه، وطرده من بابه [قُدِّس سِرُّه].

وفاة الأمير السّيد [قُدِّس سِرُّه]

بعد أن قام الأمير السّيد جمال الدّين عبد الله التّنوخيّ [قُدِّس سِرُّه] بواجبه التّوحيديّ الإصلاحيّ خير قيام، وأبرأ الذّمّة، وأقام الحجّة،

قدّر الله تعالى أن ينقله من هذه الدّنيا الفانية إلى دار البقاء، فانتقلت روحه الطّاهرة في السّابع عشر من جمادى الآخرة عام ٨٨٤ هجريّة. وخير ما يمكننا قوله في وصف ذلك المصاب الجلل، بعض ما ورد عن تلميذه الجليل المرحوم الشّيخ أبي علي مرعي حماده حيث قال: "وبعد ذلك انعكس الزّمان، وحصل ما لم يكن بالحسبان، وتفاجأ الإخوان، وجميع من بالأصقاع والبلدان؛ حيث إنَّ السّيد أخذته حُمّى قويّة، والحكم لخالق البريّة، ووصل خبر تلميذه الشّيخ عماد الدّين أنّه نفذ به قضاء الله، فزاد لذلك تألّمه وانصدع قلبه، ... ولمّا حضرنا جنازته أعني الصّادق الأمين الشّيخ عماد الدّين، ... ولم نجد السّيّد المفضال، وأمعنّا في السّؤال، وكثر القيل والقال، وأخبرونا أنّه ساخن محموم، فتزايدت الهموم والغموم، وبادرت مسرعًا إلى عَوْده أرجو حسن العاقبة وتمام العافية، ولمّا وصلت إلى الموقف الشّريف ودخلت عليه، ... وشاهدت حُمرة اللّون، فقلت إلهي كن رؤوفًا بتلك الهيبة الجليلة وحسن الصّورة، ووضع كفّه تحت خدّه إلى أن نفذ قضاء الحكيم والرّبّ الرّحيم، فبادرَت إليه تلاميذه والإخوان ينادونه ويقبّلون يديه ، ويردّدون: واسيّداه وأأميراه، وا ذلاّه بعد عزّاه، كيف بعدك الحياة يا كهف الإخوان، ونسيم الرّوح وخصب الزّمان، وغذاء الأبدان، صحّ فيك اليقين وقطعت منّا الوتين[٢٣]". "وعملوا بوصيّته في قوله لهم: " إذا نقلني الله

٢٣) عِرق لاصق بالقلب من باطنه يسقي العروق كلّها.

تعالى من دار الحياة، لا تدعوا يرفع لأجلي صوت، ولا تنوح نائحة لأجل ذلك الموت. بل اجتمعوا حولي، واصبروا صبرًا جميلا، واقرأوا القرآن على التصحيح والترتيل، وتذاكروا بالمواعظ، وأكثروا من التكبير والتهليل[٢٤]".

وقد ترك السّيّد الأمير وصيّة في منتهى البلاغة، نورد نصّها بعد خاتمة هذا الكتيّب.

هذه شخصيّة الأمير السّيد جمال الدّين عبدالله التّنوخي [قُدِّس سِرُّه]، وهذا سلكه ومنهجه، وهذه تعاليم ديننا الحنيف الّتي أحياها علمًا وعملاً، ولم يُبق لنا حجّة ولا عذرًا في التّقصير أو التّواني عن المضيّ في الحقّ والخير على الصّراط المستقيم، الموصل إلى رضى الخالق العظيم، وشفاعة رسوله الصّادق الكريم عليه أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم. فنحن بالاقتداء به وبالتّمسّك بما فسّر وأوضح مَلزومون، وبالتّخلّف عن الائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه مطالبون، وعلى ما نعتقد وما نفعل محاسبون، فالطّريق واضح بيّن لكلّ ذي عقل ودين، متمسّك بشرع سيّد المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.

٢٤) ابن حسين، الشيخ علم الدين سليمان، كتاب درة التاج سلم المعراج، الورقة: ١٢

الخاتمة

خلاصة القول، كانت حياة الأمير السيد [قُدِّس سِرُّه] حياة جهادية دعويّة. وقد أهّله اللّه تعالى لها منذ البداية؛ فولد في بيت إمارة، ونهض بنفسه لينهض في ما بعد بمجتمعه. ومشى في كل خطواته على قاعدة أنّ الخير لا يأتي دفعة واحدة، بل على تدرّج ونظام، وتتابع للخطى في منهج صحيح، وخطة واضحة، وأسباب وأساليب ناجعة، وتعاون جماعة. أطلّ على الناس فتى مجتهدا، ثم أخًا ناصحًا، ثم عالمًا مكاسرًا، ثم داعيًا مصلحًا؛ " تأخذ الطلاب منه امتصاصًا كسفينة عامت في بحر السلامة، وسافر فيها أهل الإخلاص إلى جنة القيامة. فحُقَّ له في عصره على الناس وجوب منزلة الإمامة"[٢٥].

عظمة هذا السيد الجليل، والإمام الكبير أنّ عقله كان عقل أمّة، استوعب به الحاضر، واستشفّ المستقبل؛ فأرسى القواعد والقوانين، وأقام الحجج والبراهين، وأعطى الحلول لكل العناوين، المشكل حلّها في كل عصر وحين. ولم يرضَ لأمّته إلا أن تكون في أعلى عليّين؛ تتماشى مع تطور العصور، وتتكيّف في كلّ زمان مع كلّ الأمور. لقد كان بحق درّةً على تاج أمّةٍ، تاجٍ صاغه أئمة عظام، ودعاة أبرار، فزاده جمالا على جمال، وبهاء على بهاء.

ويبقى السيّد الأمير حاضرًا في حياة كلّ سالك طريقَ الحق وملتزم به. ويبقى الاعتراف بجلال قدره، وتأكيد رسالته، وتجديدُ الولاء له قائمًا؛ بالتأدب أمام نصوصاته، وتقديس روحه الطاهرة. ويبقى ضريحه شاهدًا مذكّرًا ننحني أمامه مقبّلين شكرًا لكل عطاءات معلّم الخير، واعترافًا منّا بالجميل... فقد رفع المنار، وأوضح الآثار، ولمّ الشمل، وأحيا تراث الأئمّة الهادين المهديين، وسير ومناقب السلف الصالحين، ودعا لنكون التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين... جعلنا اللّه وإيّاكم من هؤلاء التابعين[٢٦].

---

٢٥) ابن حسين، الشيخ علم الدين سليمان، كتاب درة التاج سلم المعراج، الورقة: ١١.

٢٦) هذه الخاتمة نقلا عن كتاب سيرة الأمير السيد جمال الدين عبد الله التنوخي، للشيخ حسان نبيه أبو ضرغم.

نصّ وصيّة الأمير السّيد [قُدّس سرّه][٢٧]

وصيَّة ووقْفيَّة

هذه الوصيّة سيّدة الوصايا، وصاحبها سيّد الأقران، وقطب الزّمان، وهو الأمير السّيّد جمال الدّين عبدالله بنُ الأمير علم الدّين سليمان التّنوخيّ قدّسَ اللّه روحَه، ونوّرَ ضريحَه، آمين. وهذا نصُّها بعد الأختام والتّصديق على صحّتها.

بسم الله الرّحمن الرّحيم[٢٨] **وهو حسبي وكفى.**

الحمد للّه الّذي جعل الصّدقات من أفضل القُرُبات[٢٩]، وأعظم الحسنات، وأرفع الدّرجات. والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد المرسَل إلى سائر البريّات، وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطّيّبات الطّاهرات، صلاةً وسلامًا يُبلِّغُ بهما كمالُ رفيع الدّرجات، وسلّم تسليمًا. وبعدُ فإنّه أولى ما يتقرّب به العبد إلى اللّه الملك الصّمد، صدقة دائمة لا تنقطع إلى الأبد، فمن أجلّها قدرًا، وأشرفها فخرًا الأوقاف الشّرعيّة المستمرّة على الدّوام؛ لقوله عليه الصّلاة والسّلام: "إذا ماتَ العبدُ انقطعَ عملُهُ إلّا من ثلاث -كما ورد في الأحاديث الصّحيحة المسندة العالية- ولدٌ صالحٌ يدعو له، وعلمٌ يَنتَفِعُ به، وصدقةٌ جارية"، وكان ممّن قصد هذا الثّواب راجيًا الزُّلفى[٣٠] يوم المآب فخرُ الأمَرا العظام، قُدوةُ العلما الأعلام،

---

٢٧) نصّ وصيّة الأمير السّيد (قُدّس سِرُّه)، نقلاً عن كتاب مناقب الأعيان الجزء الثّاني لمؤلّفه الشّيخ أبي صالح فرحان العريضي.

٢٨) نصّ الوصيّة يبدأ بالبسملة، وما قبلها تعريف بها، من خارج الوصيّة.

٢٩) القربات: ما يتقرّب به إلى اللّه تعالى من أفعال البرّ والطّاعة.

٣٠) الزلفى: القربة، الدّرجة، المنزلة.

مُشيِّدُ أركان الإسلام، مُقتدى الأنام، مُعتَمَدُ الخاصّ والعام، خلَفُ السّلف الكرام، صدرُ صدور[٣١] المدرِّسين، سليلُ الملوك والسّلاطين، السّيّد الشّريف العالم الكبير الحسيب النّسيب الجَنَابُ العالي، العالم العلاّمة مولانا وسيّدنا أمير الأُمرا، فخرُ الكُبرا، حضرةُ سيّدي الأمير جمال الدّين عبد اللّه ابن المرحوم المغفور له الجناب العالي المولويّ[٣٢] الأمير علم الدّين سليمان ابن المرحوم المعفوِّ عنه الجناب العالي الزّعيم المولويّ الأمير بدر الدّين محمّد ابن المرحوم المغفور له الأمير صلاح الدّين يوسف ابن المرحوم الجناب العالي المولويّ الأمير سعد الدّين خضر ابن المرحوم الجناب العالي الشّريفيّ الزّعيميّ الأمير جمال الدين حجا ابن أمير الغرب التّنوخيّ الجُمَيهريّ اللّخميّ متّعه اللّه بحياته الكريمة، وثبّت مجده، وأنجحَ في الدّارين قصدَه، رحِم اللّه سلفه الكريم، بجاه سيّدنا محمّد عليه أفضل الصّلاة والتّسليم، وأشهدَ عليه إشهادًا شرعيًّا طائعًا مختارًا في صحّة منه وسلامة وجواز أمر شرعيٍّ، أنّه وقف وأبّد وحبّس وحرّم وخلّد وتصدّق تقرّبًا إلى ربّه الكريم، وطلبًا لثوابه العميم، ورغبةً فيما لديه من الزّلفى والنّعيم المقيم، يومَ يَجزي اللّه المتصدّقين، ولا يُضيع أجر المحسنين، ما هو جارٍ حين الوقف في مُلكه وحوزه وبيده وإطلاق تصرّفه النّافذ شرعًا، وله عليه يدُ مُلكٍ شرعيّةٌ ثابتةٌ عليه بالطّريق الشّرعيّ، وشهد له بتلك التّمسّكات[٣٣] الآتي ذكرُها، وشهادة من سيُذكَرُ فيه بدون المنازع والمعارضِ إلى تاريخه، وملك جميع الغراس المُستجدِّ القائمة أصولُه بالقُطعة الأرض المعروفةِ بالخَزّرَةِ مزرَعَةِ القطائع بظاهر بيروتَ المحروسةِ المشتمِل الغراس المذكور على توت وأشجار فواكهَ مختلفةِ

٣١) صدر صدور: رئيس الرّؤساء.

٣٢) المولوي: نسبة إلى المولى، الزّاهد عن المسلمين.

٣٣) التّمسكات: الأراضي الّتي لا تنشّف الماء لصلابتها.

النّوع والجنس بينَ موزٍ ومِشمِشٍ ورمّان وتين ونخيل، وشربُهُ من الماء كفايته من النّهر المعروف مرّةً ليلًا ومرّةً نهارًا على نُوَب أهله المتعارفة بينهم. حدُّ الأرض الحاملة الغراسَ المذكورَ من القبلة المعظّمة مُلك الحاجّ محمّد من البرج، ومن الشّرق مُلك الحاجّ عبد الرّحمن ابن الحاجّ عبد اللّه من محروسة بيروتَ، ومن الشّمال الدّرب السّالك إلى البساتين، ومن الغرب الدّرب السّلطانيُّ السّالك إلى المدينة المذكورة آخذًا إلى التّلّ المعروف. وهذا الغراس المذكور غرسه الواقفُ الصّدرُ المفخّم أعلاه، وأنشاه في أرضه من ماله وصُلب حاله لنفسه بالطّريق الشرعيّ، والأدب المعتبر المرعيّ، وجميع القطعة الأرض الكاينة بالجُنَيْنات المعلومة العلم الشّرعيّ، وجميع الأرض الشّهيرة المعروفة بمزرعة خَلْدة إشهارها يُغني عن تحديدها، وجميع الزّيتون الكائن بأرض عَرَمُون المعروف بحقل أحمدَ، والتّوت الكائن بأرض عَرَمُون أيضًا وبُرْكَة شَطْرة، والقطعة الزّيتون الكائنة في اليهوديّة تُعرَف كرمَ السّاكور، وجميع الحارة الّذي تحت العين، والمساكن في قرية عُبَيه المعلومة العلم الشّرعيّ شهرةً ووضعًا، وجميع البستان المعروف تحت صهريج عين الباردة بأرض عُبَيه المشتمل على غراس توت وزيتون وبَرّي وجُوّي ومائه المخصوص فيه، وجميع كروم الخُنَيْدِق بما فيهم من الأغراس والأنبات، وجميع السَّلِيْخ الّذي فوق دَرب البُون في أرض عُبَيْه وأرض رافيل[٣٤] الشّهيرة بتمامها، وجميع الحارة الكبيرة الفوقا المتّصلة بالإرث الشّرعيّ من المرحوم المغفور له الأمير سيف الدّين يحيى، وهي بجميع ما يتعلّق بها وطرقها وطرائقها ومنافعها، وجميع الأرض الكائنة في البُوْن بما فيها من توت وزيتون بَرّي وجُوّي وكامل الأغراس والأنبات بحقوق ذلك كلّه

٣٤) رافيل: هي عين درافيل.

واستحقاقه، وجميع القطعة المعروفة بجزيرة عُمَيْرِي وطاحونها ونصف جُزُرِ السّيّد الجليل الواقف في طاحون الكبيرة بنهر الصّفا[٣٥] المعلومينَ شرعًا، وجميع الأرض المعروفة بمروج غِيْلَانة، وكامل التّوت والسَّلِيْخ الّذي في أرض بَعْوِرْتَه مكانات مفرّقة شهرتُهُم تُغني عن تَحديدِهم، وجميع القُطع التّوت والزّيتون الكائنتين في أرض رَمْتُوْن، وهم في أماكنَ مفرّقة شهيرينَ الوصف والحدود بكامل ما فيهم من الأغراس، وجميع أرض الحُرش المعروفة بكفر زُبَيد بجميع ما فيها من الأغراس والأنبات وهي المعلومة النّافية للجهالة شرعًا بحقوق ذلك كلّه وطرقه ومنافعه، وما هو معروف به ومنسوب إليه من الحقوق الواجبة لذلك شرعًا، وقفًا صحيحًا شرعيًّا مؤبّدًا، وإيقافًا دائمًا سرمدًا، وحبسًا صريحًا لوجه اللّه تعالى مخلّدًا، لا يُباع أصل ذلك ولا يوهب ولا يُرهَن ولا يُمَلَّك ولا يُستملك، ولا يُتْلَف بوجه من وجوه التَّلف، ولا يَنتقل إلى مُلك أحد من النّاس أجمعين بل كلّما مر به زمن تأكّد، وكلّما أتاه عصر تجدّد، فهو مُحرّم بحُرُمات اللّه الأكيدة، مدفوع عنه بقوّة اللّه الشّديدة، لا يحلّ لأحد يؤمن باللّه واليوم الآخر، ويعلم أنّه إلى ربّه الكريم صاير، نقض هذه الصّدقة ولا تبديلها ولا إبطالها ولا تعطيلها، ولا الإحادة عن وجوهها وشروطها الآتي تعيينها في هذا الكتاب. أنشأ الواقف المشار إليه تقبّل اللّه تعالى منه وأثابه وقفه هذا على نفسه أيّامَ حياته أبدًا ماعاش ودائمًا ما بقي لا يشاركه فيه مشارك، ولا ينازعه فيه منازع، ولا يتأوّل عليه متأوّل، ثم من بعده لمن سيُذكر وهم: حضرة الجناب العالي المولويّ الشريفيّ الزّعيميّ الأمير سيف الدّين أبي بكر، والشّيخ الجليل فخر الأفاضل العالم العلّامة الشّيخ زين الدّين جبرائيل من قرية

٣٥) نهر الصّفا: المقصود منطقة جسر القاضي.

المَعَاصر، والشّيخ الفاضل مولانا العلّامة عماد الدّين إسماعيل من عين دارة، والشّيخ الرئيس الجليل الفضيل أوحد المعتَبَرينَ، وقُدوة العارفينَ، شرف الدّين عليّ من قرية الفسَاقين. فجملة السّادة المذكورينَ جعل لهم النظر في أمر وقفه هذا والتّكلّم عليه، والأدخال والأخراج فيه، ما جعل لنفسه، ثمّ من بعدهم جعل النّظر للأرشد فالأرشد من مشايخ بلاد الغرب لا ينازعهم فيه منازع، ولا يتأوّل عليهم فيه متأوِّل، وشرط الواقف الإمام المسمّى أعلاه، أدام الله تعالى مجده وعلاه، في أمر وقفه هذا جارٍ على الفقراء والمساكين، والأرامل المنقطعين من المسلمين، أهل الصّلاح والعفّة والدّين، من أهالي قرايا بلاد الغرب المذكور أعلاه، أينما كانوا وحيث وُجدوا في البلاد المذكورة، وشَرَط الواقف في أمر وقفه هذا النّظر عليه البداية من غلاله وصرفه وصلاحه وإصلاحه، وما فيه النَّما والمزيد لأجوره وغلّاته، وإذا ما على بعضه وما يخصّه من سائر التّكليف من خَراج وأجرة عُمولةٍ على الرّسم المعهود، وإيصال كتاب وقفه وتنفيذه وما تبَقّى بعد ذلك يُصرَف على الوجه المشروح أعلاه، يتولّى صرف ذلك النَّاظرين على هذا الوقف على مايرَوه من زيادة ونقصان، وإعطاء وحرمان وصرفه فضةً أو فلوسًا أو قمحًا أو كسوةً أو غير ذلك، فإن تعذَّر الصّرف على الوجه المعيّن أعلاه صُرف ذلك لمصالح الجوامع بقرايا الغرب المذكورة أعلاه، وإلَى الفقهاء بهم وإلى كُتّاب سبيلٍ أيضا لمن يعلّمهم الكتاب والسّنّة وتلاوة القرآن، يجري ذلك حسب ما يراه النّاظر على هذا الوقف، وإن أمكن العود إلى ما كان عليه عاد فإن تعذّر ذلك والعائذ بالله فإلى الفقراء والمساكين والأيتام والمنقطعين ممن يكون متّصفًا بالصّفة المعيّنة أعلاه من أمّة سيّدنا محمّد عليه أفضل الصّلاة والتّسليم، أينما

كانوا وحيث وُجدوا في وجوه البرِّ والقُرُبات، وفعل الخير والمثوبات، من إطعام طعامٍ وتفرّق خبز وفكّ أسيرٍ وخلاص مسجونٍ من الشّرع الشّريف وعمارة سبيلٍ، على ما يرَوه النظراً على هذا الوقف، ويؤدّي إليه اجتهاده من زيادة ونقصان، وتخصيص وحرمان، وإن أمكن العود إلى الفقراء المُبْدأ بذكرهم يعود يجري ذلك كذلك أبدَ الآبدين، ودهر الدّاهرين، إلى أن يرثَ اللّه العباد والبلاد وهو خير الوارثين، ومن شرط الواقف أثابه اللّه تعالى أن لا يُؤَجَّرَ وقفه هذا لمُتَجَوِّهٍ[٣٦] ولا لمن تُخشى مماطلته، أخرج الواقف الجناب العالي المسمّى أعلاه وقفه هذا عن نفسه الشّريفة، وأبانه عن حيازته الشّرعيّة، وجعله وقفًا وصدقة دائمة أبدًا، وسبيلًا مُحرَّمًا مُخلَّدًا، محفوظًا على شروطه ومصارفه المعيّنة، كلّما مرّ به زمان أكّده، وكلّما أتى عليه أوان جدّده، وهو يستعدي إلى اللّه تعالى فيمن ينقُض وقفه أو يُبدّله أو يَقدَح فيه أو يُفسده أو يُعَطّله، فمن فعل ذلك وأعان عليه فاللّه تعالى طليبه ومُؤاخذه بفعله وحسيبه يوم القيامة، يوم الحسرة والنّدامة يوم تبيَضُّ وجوهُ الأتقياء الأبرار، ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر:٥٢]. ومن أقرّه في أيدي مستحقّيه وأجراه على أحكامه، وسعى في إثباته وثابر على إحكامه، برّد اللّه تعالى مضجعه، وأحسن مآبه ومرجعه، وأسكنه أعلى الغرف في جنّات النّعيم، ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٨١]. ووكّل الواقف المشار إليه أدام اللّه إجلاله في ثبوت ذلك كلّه، والدّعوى وطلب الحكم به لكلٍّ من نقباء الحكم العزيز ومتصرّفيه بمدينة دمشق المحروسة وغيرها ممن يحكم بالشّرع الشّريف بمدينة بيروت المحروسة

٣٦) المتجوّه : الّذي تكلّف الجاه وليس به ذلك.

التّوكّل الشّرعي، وأشهد بذلك عليه طوعًا في صحّةٍ منه وسلامةٍ بجميع ما نُسِب إليه من الثّبوت والحكم وسائر ما نُسَب إليه وثبت عليه به بعد أن شهد لديه على الواقف بما نُسَب إليه، وما تَلَفَّظه بالوقف وصحّة شهوده على الوجه المَشروح أعلاه إلى اليوم المبارك الحادي والعشرين من جمادى الآخرة من شهور سنة عشرين وثماني مائة، والحمد للّٰه على إحسانه ونعمائه، وصلواته على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليمًا، وحسبنا اللّٰه ونعم الوكيل.

حرّره أضعف العباد

بإشهاده عبد الهاد عفا اللّٰه عنه.

شهدت على الواقف أعلاه بما نسب إليه وبتلفّظه والواقف المعتبر أعلاه على الحكم المبين فيه وكتبه الفقير سيف الدّين يحيى عفا الله عنه

شهد على الواقف أعلاه وكتبه الفقير سيف الدّين أبي بكر عفا الله عنه.

شهد على الواقف بما في باطن هذا الوقف وكتبه زين الدّين جبرائيل.

شهد بصحّة هذا الوقف بتلفّظه شمس الدّين الضّايغ عفا الله عنه.

شهدتُ على الواقف أعلاه بتلفّظه وكتبه الفقير زين الدّين طاهر عفا الله عنه ولكلّ المسلمين آمين. لمّا طالعت فيه واطّلعت على صحّة ما يحويه قبلته وارتضيته ونفّذته وأمضيته حرّره الفقير محمد ابن سليم المولى بدمشق الشّام خلافة عفا الله عنهما[٣٧].

٣٧) نقلت بحسب ما هي عليه في الأصل.

ختمة

الحمد لله ربّ العالمين[٣٨]

هذا ما أشهد به على نفسه الكريمة الشّريفة اللّطيفة الجامعة لمعاني الفضل والفضيلة، حرسها اللّه تعالى وحماها، وصانها من الأسواء ووقاها، وشكر في مصالح الإسلام والمسلمين بِرَّها وخيرها ومسعاها، سيّدنا العبد الفقير إلى اللّه تعالى قدوة العلما الأعلام، وصدر مصر والشّام، شرف الأيمّة العظام، سيف الزّمان، فريد العصر والأوان، مُقتدى الطّالبين، علاّمة المحقّين، حُجّة النّاظرين، صدر صدور المُدرِّسين، بقيّة السّلف الكرام الصّالحين، أبي الفضل محمّد بن سليم الحُسينيّ الشّافعي، الحاكم خلافة بدمشقَ المحميّة، وبقيّة السّادة الأشراف بها، أدامه اللّه تعالى ورزقه من الخير وافره ومزيده بجاه سيّدنا محمّد عليه أفضل الصّلاة والتّسليم، مَن حضر من السّادة المُعدلينَ بدمشق بمجلس حكمه ومحلّ قضائه النّافذ فيه حكمُهُ وإمضاؤه، وذلك في اليوم المبارك الإثنين السّادس من شهر صفر الخَيِّر الأغرّ الميمون الّذي هو من شهور سنة اثنين وعشرين وثماني مائة، إنّه ثبت عنده ثبّت اللّه تعالى مجده، وأنجح في الدّارين قصده، ورحم أباه وجدّه، وصحّ لديه أحسن اللّه تعالى إليه بالطّريق الشّرعيّ بشهادة من رُقم له تُلُوَ رسم شهادته أدنى الإشهاد المسطور باطنه علامة التّأدية والقبول على الرّسم المألوف من الثّبوت والحكم والتّنفيذ وسائر ما نُسب إليه على الوجه المشروح فيه ثبوتًا صحيحًا شرعيًّا وبالبيّنة الشّرعيّة العادلة المَرضيّة بشهادة الحاجّ مصطفى ابن الحاجّ محمّد الشّافعيّ، والشّيخ عبد الرحمن ابن الصّحراويّ والحاجّ إبراهيم بن أحمد الصّالحيّ، والشّيخ علايِ الدّين أبي الحسن الحسيني، والحاجّ رمضان بن عبد الفتاح المَغربيّ المالكيّ، المعروفِينَ عنده

٣٨) نصّ تسجيل الوصيّة بدمشق.

المقبولينَ لديه القَبول الشّرعيّ، بعد تزكية من احتاج تزكيته شرعًا معرفة قُدوة الأماثل والأقران الجناب العالي والمَقرّ السّامي المَولويّ أمير الأمراء الأمير عبد اللّه ابن المَقرّ العالي الشّريفيّ الأمير علم الدّين سليمان التّنوخي الجُمَيْهريّ وهو الواقف أعلاه متّع اللّه بحياته، وأعلى في الدّارين درجاتِهِ، لم يزل مالكًا حائزًا مُستحِقًّا لجميع الجهات الموقوفة المُعَيّنة بكتاب الواقف بالشّرائط الشّرعيّة، واعتبار ما وجب اعتباره شرعًا، حكمْتُهُ وأمضيْتُهُ وقَبِلْتُهُ وارتضيْتُهُ في التّاريخ المُعَيّن، والحمدُ للّه وحده.

شُـــــــــهُـوْدُ الحَـــــــــــــالِ

الحاج مصطفى محمد الشافعي	الفقير عبد الرحمن ابن الصحراوي	الفقير الحاج إبراهيم بن أحمد الصالحي	الفقير علاي الدين الحسيني	الفقير رمضان ابن عبد الفتاح

لَمّا عرضت عليّ هذه الوقفيّة الشّرعيّة أدام الله
إجلال واقفها فوجدتها موافقة للشّرع القويم
والنّهج المستقيم وثَبَتَ عندي بشهادة ما في
ذيله قبلتها ثمّ أمضيتها وأنا خادم الشّريعة النّبويّة
الفقير أحمد ابن سليم المولّى بقضا بيروت،
عفا عنهما الحيّ الّذي لا يموت.

الواثق بالملك العليم
الفقير أحمد ابن سليم [٣٩].

٣٩) الشهود والأختام حسبما كتبت في الأصل.

الحمد لله ربّ العالمين[٤٠]

هذا ما أشهد به على نفسه الكريمة الرّضيّة المَرضيّة، الجامعة لمعاني الفضل والفضيلة، حرسها اللّه تعالى وحماها، وصانها اللّه ووقاها، مولانا العلّامة، العُمدة الفهّامة، مفيد الطّالبين، صَدْر المُدرِّسين، علّامة المُحقّين، بقيّة السّلف الكرام الصّالحين، شرف الفضلاء العارفين، سيّدنا ومولانا أحمد بن سليم الخالديّ، المُوَلَّى بقضا بيروتَ المحروسةِ ومن حضر مجلسه من السّادة المُعدلين بها أبّد اللّه تعالى أحكامه، وأنفذ أقضيته وأحسن إليه وأخلد أيّامه، بمجلس حكمه المشار إليه بجميع ما نُسب إليه من الثّبوت والتّنفيذ على الوجه المشروح به حكمه وأمضاه في اليوم المبارك الجمعة من شهر شوّال من شهور سنة اثنين وعشرين وثماني مائة، إنّه ثبت عنده ثبّت اللّه تعالى مجده، وأنجح في الدّارين قصده، وصحّ لديه أحسن اللّه تعالى إليه بالطّريق الشّرعيّ بشهادة من رُقم له تِلْوَ رسم شهادته أدنى الأشهاد المسطور باطنه علامة التّأدية والقَبول من الثّبوت والحُكم والتّنفيذ وسائر ما نُسب إليه على الوجه المشروح فيه ثبوتًا صحيحًا شرعيًّا بالبيّنة الشّرعيّة المُعتَبَرة المَرعيّة، بشهادة الشّيخ الأجلّ الفاضل عليّ بن حسن، والحاجّ أحمد بن عمر، وعبد اللّه بن عثمان الطّرابلسيّ، والحاجّ أبي بكر بن محمّد المعروفينَ عنده المقبولينَ لديه القبول الشّرعيّ بعد تزكية من احتاج تزكيته شرعًا معروفًا قُدوة الأماثل والأقران، أمير الأمرا وفخر الكبرا الأمير جمال الدّين عبد اللّه ابن المَقرّ العالي الشّريفيّ الأمير علم الدّين سليمان التّنوخيّ الجُمَيهريّ، وهو الواقف أعلاه مَتَّعَ اللّه بحياته، وأعلى في الدّارين درجاته، ولم يزل مالكًا مستحقًّا لجميع

٤٠) نصّ تسجيل الوصيّة ببيروت.

الجهات الموقوفة المعيّنة بكتاب الواقف بالشّرائط الشّرعيّة من غير منازع له ولا معارض لديه بالشّرائط الشّرعيّة، قبلتُهُ وأمضيتُه، وحكمتُه وارتضيتُه، في التّاريخ المُعَيّن أعلاه. وحسبُنا الله ونعم الوكيل، والحمدُ لله ربّ العالمين.

شُـــــــــــهُـوْدُ الحَـــــــــــالِ (٤١)

الفقير علي بن حسن	الحاج أحمد بن عمر	عثمان بن عبدالله الطرابلسي	الفقير أبي بكر بن محمد

الحمد لله تعالى(٤٢)

بمجلس الشّرع الشّريف، ومَحْفِل الدّين الحنيف، المصون عن التّغيير والتّحريف، بثَغر مدينة بيروت المحَميّة، أجلّه الله تعالى لدى فخر قضاة الإسلام، شرف ولاة الأنام، الحاكم الحَنَفيّ المُوَقّع أعلاه، بعد أن حضر فخر المشايخ والأعيان مولانا الشّيخ حسين بن العالم العامل أوحد الفقها صدر المُدرِّسين مولانا الشّيخ محمّد أحْمَدَ الله شانه وهو المُتَوَلّي والناظر والمتكلّم على ما سيأتي فيه مفصّلًا بالطّريق الشّرعيّ مُقرَّرًا من كلامه كلامًا يتضمّن الطّلب والإخبار بأنّ من الجاري بطريق الوقف الشّرعيّ سابقًا، وهي جميع القُطعة الأرض السَّلِيخ الحاليّة الآنَ من أصل الغراس الكائنة بمزرعة القطايع وتُعرَف بالخَزْرَة بأرض نهر بيروت تَبَعَ أراضي قرية البُرْج التي كانت سابقًا بستانًا بأجمل أشجار مختلفة النّوع والجنس، وبحدود أربع، فمن القِبلة المُشَرَّفة مُلْك الحاجّ محمّد البرجي، ومن الشّرق مُلْك الحاجّ عبد

---

٤١) الشّهود والأختام.

٤٢) حكم قاضي الشّرع بإزالة التّعدي عن قطعة الأرض الموجودة بمزرعة القطايع في بيروت وإعادة الغراس إلى حالها مع ما تحتاجه من ماء.

الرّحمن بن الحاجّ عبد اللّٰه من مدينة بيروت، ومن الشّمال الطّريق السّالك إلى البساتين، ومن الغرب الطّريق السّلطاني الآخذ للمدينة المذكورة أخذًا إلى التّل المعروف، وإنّ ذلك وقفًا على ما ذُكِر أعلاه، وَقَفَه المرحوم والمغفور له السّيّد الشّريف العالم الكبير الحسيب النّسيب الجناب العالي المَولَويّ مولانا وسيّدنا أمير الأمرا فخر الكبرا حضرة الأمير جمال الدّين عبداللّٰه ابن المرحوم المغفور له الجناب العالي الأمير علم الدّين سليمان التّنوخيّ، وأَبْرَزَ النّاظر المذكور من يده كتابَ الوقف المَمضي بإمضاء القاضي محمّد بن سليم المُوَلّى بدمشق الشّام خلافة عفا عنهما، فقُرِئَ على ملأ من الحاضرين فشهدتْ ألفاظه ومعانيه بالوقف المَزْبور[٤٣] والنَّعت المَسطور، وشهدتْ للواقف بالمَبَرَّات والصّدقات والإحسان من البستان المذكور، وأراضي سَليخ معروفة في أماكنها في داخل باطن الوقف المرقوم، فتقبّل اللّٰه منه الأُجور، فطلبَ الحاكم المشار إليه من النّاظر المذكور، بثبوت مضمون كتاب وقفه بالبيّنة الشّرعيّة المقبولة المَرضيّة، فأُحضِر للشّهادة وأدائها كلٌّ من الشّيخ غرز الدّين ابن الشّيخ تَقيّ الدّين من قرية قِبّيع تَبَعَ ناحية المَتن والشّيخ يحيى ابن الشّيخ سليمان، والشّيخ صالح ابن الشّيخ عليّ، والشّيخ حسن ابن الشّيخ مُصلِح، والشيخ ناصر الدّين بن عبد الرّزّاق، والشّيخ شهاب الدّين بن الشّيخ أحمد، وغيرهم ممّن حضر وشهِدوا لديه جملةً وفرادى شهادةً هم لها عالمون، وبها مُحقّقون، ولوجه اللّٰه الكريم هم بها يقصِدون، بأنَّ القُطعة الأرض المذكورة وغيرها ممّا يحوي باطن هذا الوقف المَرقوم وقفًا صحيحًا شرعيًّا على فقرا الغرب وإصلاح المساجد الّتي لم يكن لها وقف تُرَمَّم منه إذا خَربَ منها جدارٌ أو غيرُه، وعلى فكّ أسير وخلاص مسجونَ وممّا يحوي شرائطه المذكورة

٤٣) المزبور: المكتوب (القاموس المحيط).

فيه، ويعرفون البستان المذكور حين كان مغروسًا بالأشجار، ومتصرّفين فيه النُّظّار، الّذين مضوا حين عماره، ويشهدون بالوقف وشرائطه على حكم ما ترتّب، وبجميع ما في داخل باطن كتاب الوقف المَزبور شهادة صحيحة شرعيّة مقبولة من كلّ منهم القَبول الشّرعيّ، فلمّا تكامل ذلك لدى الحاكم الشّرعيّ أثبتَ شهادتهم وحَكَمَ للنّاظر بالوقف المذكور، وأَمَرَه أن يغرس الأشجار ويقيم الجدران ويُجري الماءَ على حُكم عادته القديمة، ولا ينازعه في ذلك منازع بل يتصرّف بالوجوه المذكورة، مع لزوم العمل بالتّقوى في السّرّ والعلن، ما ظهر منها وما بطن، وجرى ذلك بحضور علماء وأشراف وأعيان وأماثل من أبناء بيروت واطّلاعهم على ذلك الاطّلاع الشّرعيّ، محكومًا بذلك الحكمَ الشّرعيّ، تحريرًا في حادي عشر شهر رمضان المُعظَّم قدرُهُ لسنة أربع وتسعين وألف من الهجرة.

شُـــــــــهُـوْدُ الحَـــــــــــالِ

فخر المدرّسين مولانا الشّيخ زين الدّين مفتي المدينة حالاً

فخر النّقبا الكرام مولانا السّيد علي نقيب السّادة الأشراف

فخر الخطبا مولانا الشّيخ حسن الخطيب

مولانا الشّيخ عبد الباقي ابن قاضي المدينة

فخر الاعيان الحاجّ مصطفى القضّار

عـلا الدّيـن بن محـمد المحضري

فخر الاماثل محمد بندر

علي محضر

الحاج حسن العلماوي

كايد بن نعمان حافظ كلام الرّحمن

وللأمير السيّد قُدِّسَ سرّه وصيّة خصّ بها أهل بيته وأقرباءه، قدّم لها بكلمات بليغة ذات معانٍ جليلة. ونحن نذكر المقدمة هاهنا لما فيها من عبارات التضرع للّه عزّ وجل والتوسل إليه بالصفح عن عظيم الزلل. وهي جديرة بأن نستقي منها آداب المعاملة ورقّة المناجاة لخالق الأرض والسموات.

"الحمد للّه حقّ محمود، والشكر لصفيّه أشرف مولود ، الداعي إلى أفضل معبود. بسم اللّه والحمد للّه ولا حول ولا قوّة إلا باللّه، عليه توكلت وإليه أنبت، وبه أستعين.

وبعد،

فإنّ كاتبه فقير عفوِ ربّه القدير، عبداللّه بن سليمان بن محمّد، الذي عمّت ذنوبُه، وثقلت أوزاره، وبهضه ما حمل،الذي لا يُضَع إلا بحلم سيّده وكرمه وعفوه وغفرانه، فإن رحم فبالفضل، وإن عاقب فبالعدل، وهو أهل الحالين حقّا، والعبد أهل الواحد صدقا. وهو العقاب، وهو سبحانه غني عن العقاب، والعبد فقير إلى العفو والفضل والامتنان. يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين جدّ، ومُنَّ، واعطف، والطف وارحم واغفر، وتطوّل على قارع بابك العزيز بذلّه وانكساره، وخذ بيده بعنايتك الأزليّة بحقّ صفوة البريّة، فيا خجلةً ما أعظمها، ويا حسرةً ما أشدَّها، ويا مصيبةً ما أبهضها، ويا رحمةً ما أوسعها، ويا حلمًا ما أكمله. فبحقّ السّيد الجليل اغفر لعبدك الذليل.

ملحق
مخطوطة الوصيّة[٤٤]

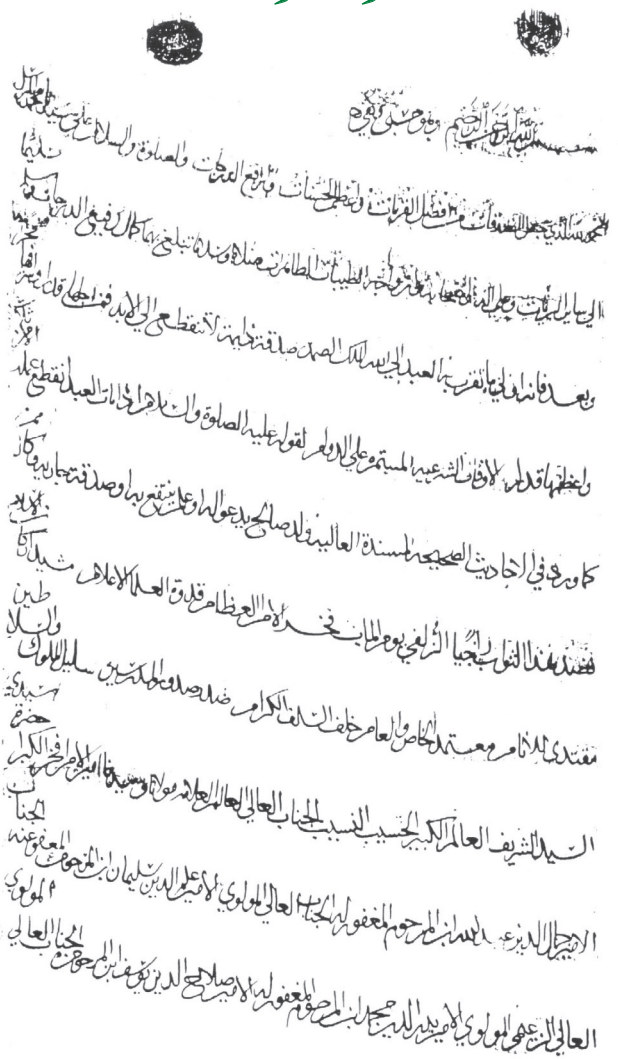

٤٤) من كتاب مناقب الأعيان (الجزء الأول).

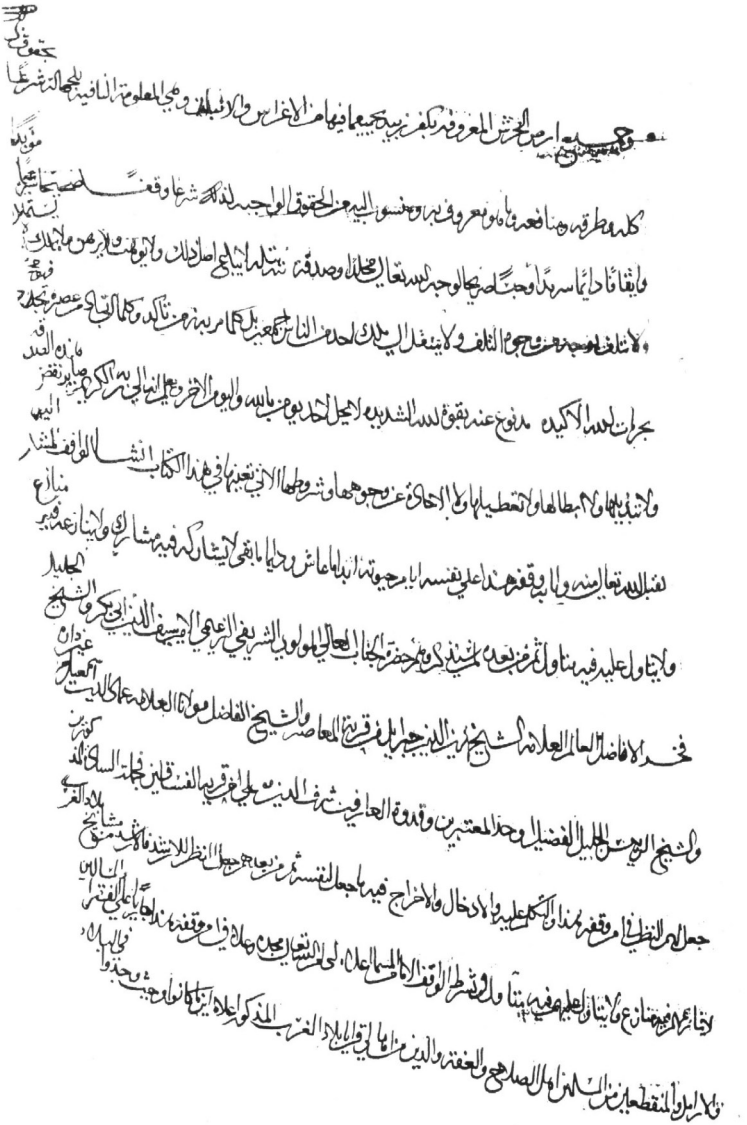

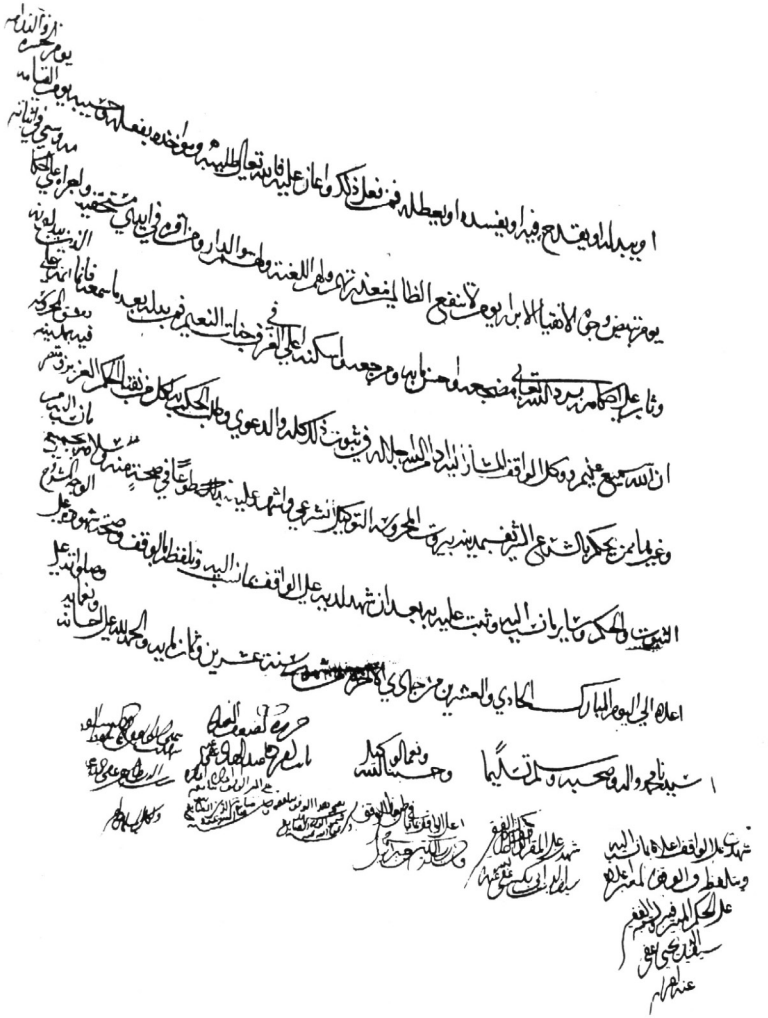

فهرس

- مقدمة ٣
- الزمن الذي جاء فيه ٦
- نسبه ومولده ٨
- نشأته ٨
- التزامه الديني وتحصيله العلمي ٩
- زواج الأمير جمال الدين عبد الله، وأولاده ١١
- الأمير السيد المرجع ١٢
- رحيله إلى دمشق ١٤
- عودته المظفّرة ١٦
- تلاميذ السيد (ق) ١٧
- وفاة الإبن (ر) وصبر الأب (ق) ١٩
- العالِم المعلّم ٢٣
- أقواله المأثورة ٢٦
- باقة من مآثر الأمير ٢٦
- وفاة الأمير السيد (ق) ٣١
- الخاتمة ٣٣
- نص وصية الأمير السيد (ق) ٣٤
- ملحق مخطوطة الوصيّة ٤٨

حقوق الطبع محفوظة
المجلس المذهبي لطائفة الموحدون الدروز